

إنسانية الحضارة الإسلامية

تقديم ومشاركة

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

ورئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

عضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا باللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

(سورة هود : ٨٨)

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

وبعــد:

فلا شك أن ديننا الحنيف مفعم بالقيم الإنسانية سواء في أخلاقه أم في تشريعاته ، فعندما كرم الإسلام الإنسان كرمه على أخلاقه الإنسانية بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو عرقه ، فقال سبحانه : " وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ " ولم يقل : كرمنا المسلمين وحدهم ، أو المؤمنين وحدهم ، أو الموحدين وحدهم، وكان نبينا (صلى الله عليه وسلم) يقول :" يا أَيُّها النَّاسُ، إنَّ ربَّكم واحِدٌ ، أَلَا لا فَضْلَ لعَرَبيٍّ على عَجَميٍّ ، ولا لعَجَميٍّ على عَرَبيٍّ ، ولا لأحمَرَ على أسْوَدَ ، ولا لأسْوَدَ على أحمَرَ إلَّا بالتَّقْوى ، إنَّ أكْرَمَكم عندَ اللهِ أتْقاكم"، وكان يقول في شأن سلمان الفارسي : " سلمان منا آل

البيت " ، وعن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) يقول : " أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا "، يعنى بذلك بلالًا الحبشي ، وقال رسولنا (صلى الله عليه وسلم) : "لينتهيَنَّ أقوامٌ يفتخرونَ بِآبائِهِمُ الذينَ ماتُوا إِنَّما هُمْ فَحْمُ جهنمَ أوْ ليكونُنَّ أَهْوَنَ على الله مِنَ الجُعَلِ الذي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ إِنَّ اللهَ قد أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجاهليةِ وفَخْرَها بِالآباءِ إِنَّما هو مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ أَوْ فَاجِرٌ شَقِيٌّ الناسُ كلُّهُمْ بَنُو آدمَ وآدَمُ خُلِقَ من تُرَابٍ".

وعندما حرَّم الإسلام قتل النَّفس حرَّم قتل النَّفس كل نفس وأي نفس وعصم كل الدماء فقال الحق سبحانه وتعالى في كتابه العزيز : " أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ " ، ويقول نبينا (صلى الله عليه وسلم): "لا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِن دِينِهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا " ، وعندما رأى النبي (صلى الله عليه وسلم) امرأة كافرة عجوزًا مقتولة في ساحة القتال قال (صلى الله

عليه وسلم) : "مَنْ قَتَلَهَا ؟ مَا كَانَت هَذِه لِتُقَاتِل" ، بما يعني أنه لا يوجد في الإسلام قتل على المعتقد ، إنما يكون القتال لرد العدوان ، ولما مرت عليه (صلى الله عليه وسلم) جنازةُ يهودي وقفِ (صَلَّى الله عليه وَسَلَّمَ) فقِيلَ له: إنَّهَا جِنازةُ يَهوديٍّ ، فَقالَ: أَليسَتْ نَفْسًا؟! ، وعندما تحدث القرآن الكريم عن خيرية هذه الأمة ربط هذه الخيرية بإنسانية هذه الأمة وكونها خير الناس للناس ، فقال سبحانه وتعالى: " كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم " .

وقد عني التشريع الإسلامي بشأن الأيتام والضعفاء والفقراء والمحتاجين وذوي الاحتياجات الخاصة ، وجعل (صلى الله عليه وسلم) الساعي على الأرملة والمسكين كالصائم القائم ، وكالمجاهد في سبيل الله أجرًا وثوابًا وحسن عاقبة ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول : "هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلا بِضُعَفَائِكُمْ" ، وعندما وصفته (صلى الله عليه وسلم) السيدة خديجة (رضي الله عنها) قالت: "فَوَالله لا يُخْزِيكَ الله أبَدًا ؛ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وتَصْدُقُ

الحَدِيثَ ، وتَحْمِلُ الكَلَّ ، وتَقْرِي الضَّيْفَ ، وتُعِينُ علَى نَوَائِبِ الحَقِّ".

وقد راعى الإسلام حق الضعيف والجار والمسكين والمحتاج ، فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) :" وَالله لا يُؤْمِنُ ، وَالله لا يُؤْمِنُ ، وَالله لا يُؤْمِنُ " ، قَالُوا : يَا رَسُولَ الله وَمَا ذَلِكَ ؟ قَالَ : " مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَه ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " مَن كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَوم الآخِرِ فلا يُؤْذِ جارَهُ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ ، ومَن كانَ يُؤْمِنُ بالله واليَومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أوْ لِيَصْمُتْ"، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَان وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ " ، ولما قيل له : إنَّ فلانةَ تقومُ اللَّيلَ وتَصومُ النَّهارَ وتفعلُ ، وتصدَّقُ ، وتُؤذي جيرانَها بلِسانِها ؟ فقال رسولُ الله (صلَّى الله عليهِ و سلم):" لا خَيرَ فيها ، هيَ من أهلِ النَّارِ" ، وعندما تحدث (صلى الله عليه وسلم) عن حقوق الجار سما بها إلى أعلى درجات الرقي الإنساني حين قال : "ولا تُؤذِه بقُتارِ قِدْرِكَ إلَّا أنْ تَغرِفَ له منها، وإنِ اشتَرَيتَ فاكِهةً

فأهْدِ له ، فإنْ لم تَفعَلْ فأدخِلْها سِرًّا ، ولا يَخرُجْ بها وَلَدُكَ ليَغيظَ بها وَلَدَه، أتَدرونَ ما حَقُّ الجارِ ؟ والذي نَفْسي بيَدِه، ما يَبلُغُ حَقَّ الجارِ إلَّا قَليلٌ مِمَّن رَحِمَ اللهُ ".

وراعى الإسلام حق وشعور القريب والبعيد ، فقال الحق سبحانه في شأن معاملة الوالدين: "وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا"، وجعل الإسلام اللقمة التي تضعها في فم امرأتك ، والنفقة التي تنفقها على ولدك صدقة ، ونهى حتى عن مجرد جرح المشاعر فقال نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَن كانت له أُنثى فلم يَئِدْها، ولم يُهِنْها، ولم يُؤثِرْ ولَدَه عليها – الذُّكورَ– ، أدخَلَه اللهُ الجَنَّةَ " ، وقال (صلى الله عليه وسلم): "إذا كُنْتُمْ ثَلاثَةً فلا يَتَناجَى اثنان دون صاحبهما فإنَّ ذلك يُحزِنُه "، ودعا إلى كل ما يحقق الوفاق والوئام الإنساني ، فنهى عن التحاسد والتباغض والتنابز بالألقاب ، ودعا إلى التراحم والتزاور والتسامح ، وحسن الظن ومناداة الإنسان بأحب الأسماء إليه

والبشاشة في وجهه ، فقال (صلى الله عليه وسلم): "لا يَحْقِرَنَّ أحدُكم شيئًا من المعروفِ ، فإن لم يَجِدْ فلْيَلْقَ أخاه بوَجْهٍ طَلْقٍ ، وإذا اشْتَرَيْتَ لحمًا أو طَبَخْتَ قِدْرًا فأَكْثِرْ مَرَقَتَه ، واغْرِفْ منه لجِارِكَ".

فما أحوجنا إلى استعادة وترسيخ هذه القيم الإنسانية التي دعا إليها ديننا الحنيف لنحقق بصدق خيرية هذه الأمة كما أرادها الله (عز وجل) ، وتستحق بها رحمة الله أولًا ، وأن نكون شهداء على الأمم ثانيًا وأن نغير الصورة القاتمة التي رسمتها الجماعة الإرهابية المضللة لديننا الحنيف من جهة أخرى .

ويتناول هذا الكتاب موضوع "إنسانية الحضارة الإسلامية"، حيث يضم مجموعة مختارة من الأبحاث التي قدمها نخبة من العلماء الأجلاء لمؤتمر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في دورته السابعة عشرة ، مع نسبة كل بحث منها إلى كاتبه بمنتهى الأمانة العلمية .

ويشرفني أن أشارك هؤلاء الأعلام الكبار في هذا الكتاب بمبحث خاص عن رسول الإنسانية (صلى الله عليه وسلم) ، يبرز

بعض الجوانب الإنسانية في حياته وهديه (عليه الصلاة والسلام) ، سائلاً المولى (عز وجل) أن يتقبل هذا العمل ، وأن يجزي كل من أسهم فيه ببحث ، أو جهد ، أو تنظيم لذلكم المؤتمر، أو أشرف عليه خير الجزاء.

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

أ.د/ محمد مختار جمعة
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف



رسـول الإنسانية (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)(*)

نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) نبي الإنسانية ورسولها ، سواء من حيث كون رسالته جاءت رحمة للعالمين ، أم من حيث كونها للناس كافة ، حيث يقول الحق سبحانه :"وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا"(1)، وحيث يقول نبينا (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : "وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ"(2)، أم كان ذلك من جهة ما تضمنته الرسالة من جوانب الرحمة والإنسانية وتكريم الإنسان لكونه إنسانًا بغض النظر عن دينه أو لونه أو جنسه أو لغته ، حيث يقول الحق سبحانه: "وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ"(3)، أم من حيث مراعاته (صلى الله عليه وسلم) للأبعاد الإنسانية في جميع معاملاته وسائر تصرفاته.

(*) الأستاذ الدكتور/ محمد مختار جمعة، وزير الأوقاف، مصر.

(1) سبأ : ٢٨ .

(2) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب التيمم ، باب منه رقم ١٣٩، حديث رقم ٣٣٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب منه ، حديث رقم ١١٩١ .

(3) الإسراء : ٧٠ .

ويتجلى البعد الإنساني في حياة سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في معاملته لأصحابه وأزواجه وأحفاده والناس أجمعين ، فكان خير الناس لأهله ، وهو القائل عن أم المؤمنين السيدة خديجة (رضي الله عنها) : " آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ ، وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ ، وَرَزَقَنِي الله (عَزَّ وَجَلَّ) وَلَدَهَا إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ"[1] ، وظل وفيًّا لها طوال حياتها حتى بعد وفاتها ، فكان يكرم صديقاتها ومن كن يأتيه على عهدها، فقد جاءت عجوز إلى بيته (صلى الله عليه وسلم) فقال لها : مَنْ أَنْتِ ؟ " قَالَتْ : أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ، فَقَالَ : " بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ

---

(١) مسند أحمد: ج ٥٤/ ص ٢١٥، حديث رقم ٢٥٦٠٦ . وفي صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب تَزْوِيجُ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) خَدِيجَةَ ، وَفَضْلُهَا (رضى الله عنها) ، حديث رقم ٣٨١٨ ، ولفظه : عَنْ عَائِشَةَ (رضى الله عنها) قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ ، وَمَا رَأَيْتُهَا ، وَلَكِنْ كَانَ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) يُكْثِرُ ذِكْرَهَا ، وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ، ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً ، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلاَّ خَدِيجَةُ . فَيَقُولُ إِنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ .

الْمُزَنِيَّةُ ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟" قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ الله ، فَلَمَّا خَرَجَتْ قالت عائشة : يَا رَسُولَ الله ، تُقْبِلُ عَلَى هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ : " إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ"[1].

وكان شديد الحب لأحفاده ، شديد الحفاوة والعناية بهم ، فعن أبي بكرة ﷺ قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) على المنبر والحسن بن علي معه ، وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول: إن ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، ولما رآه الأقرع بن حابس يقبل الحسن والحسين ، قَالَ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، ثُمَّ قَالَ : " مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ " ، وفي

---

(١) المستدرك على الصحيحين ، كتاب الإيمان ، ذكر حديث معمر ، حديث رقم ٤٠ . وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ . ووافقه الذهبي . وقد ترجم الإمام البخاري بجزء من المتن لأحد أبواب صحيحه ، وذلك في كتاب الأدب ، بَابٌ حُسْنُ العَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ ، حديث رقم ٦٠٠٤. ولفظه: عَنْ عَائِشَةَ (رَضِيَ الله عَنْهَا)، قَالَتْ: (مَا غِرْتُ عَلَى امْرَأَةٍ مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ... الحديث .

رواية : " أَوَ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ الله مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ "[1].

وكان (صلى الله عليه وسلم) أرحم الناس بالناس وبخاصة الأطفال والضعفاء ، حيث يقول (صلى الله عليه وسلم) : "إِنِّي لَأَقُومُ فِي الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ"[2] ، ويقول (صلى الله عليه وسلم): " ... فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَذَا الْحَاجَةِ "[3].

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب رَحْمَةِ الْوَلَدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ ، حديث رقم ٥٩٩٨ ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب رَحْمَتِهِ (صلى الله عليه وسلم) بالصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ، حديث رقم ٦١٦٩ .

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الآذان ، بَاب مَنْ أَخَفَّ الصَّلَاةَ عِنْدَ بُكَاءِ الصَّبِيِّ، حديث رقم ٧٠٧ . وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أَمْرِ الأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلاَةِ فِى تَمَام ، حديث رقم ١٠٨٣ . ولفظه: قَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ الله (صلى الله عليه وسلم) يَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِىِّ مَعَ أُمِّهِ وَهُوَ فِى الصَّلاَةِ فَيَقْرَأُ بِالسُّورَةِ الْخَفِيفَةِ أَوْ بِالسُّورَةِ الْقَصِيرَةِ) .

(٣) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الْغَضَبِ فِى الْمَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيم إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ ، حديث رقم ٩٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أَمْرِ الأَئِمَّةِ بِتَخْفِيفِ الصَّلاَةِ فِى تَمَامٍ ، حديث رقم ١٠٧٤ .

وها هو (صلى الله عليه وسلم) تدمع عيناه عند وفاة ابنه إبراهيم (عليه السلام) ، فقال له سيدنا عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) : وأنت يا رسول الله ؟! فيقول (صلى الله عليه وسلم) : "يا ابن عوف إنها رحمة " ثم قال: " إِنَّ الْعَيْنَ تَدْمَعُ ، وَالْقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا ، وَإِنَّا بِفِرَاقِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ"[1].

وسجد (صلى الله عليه وسلم) يومًا فأطال السجود ، فلما قضى الصلاة ، قال الناس: يَا رَسُولَ الله ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَي صَلاَتِكَ هَذِهِ سَجْدَةً قَدْ أَطَلْتَهَا ، فَظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ ، أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ، قَالَ:"فَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي فَكَرِهْتُ

(١) متفق عليه : صحيح البخارى ، كتاب الجنائز ، باب قَوْلِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) "إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ" ، حديث رقم ١٣٠٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب رَحْمَتِهِ (صلى الله عليه وسلم) الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ ، حديث رقم ٦١٦٧، ولفظه: " تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يَرْضَى رَبُّنَا والله يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ".

أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ "[1].

وعن أبي قتادة الأنصاري (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) "كَانَ يُصَلِّي وَهْوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ الله (صلى الله عليه وسلم) ، فَإِذَا سَجَدَ وَضَعَهَا ، وَإِذَا قَامَ حَمَلَهَا"[2] .

وعندما كان (صلى الله عليه وسلم) يخطب على المنبر وجد الحسن والحسين يتعثران فنزل من على المنبر واستلمهما وقبلهما ، فعن عَبْد الله بْن بُرَيْدَةَ ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي بُرَيْدَةَ يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مِنَ الْمِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : " صَدَقَ

---

(١) سنن النسائي، كتاب التطبيق ، باب هَلْ يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ سَجْدَةٌ أَطْوَلَ مِنْ سَجْدَةٍ حديث رقم ١١٤١.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب إِذَا حَمَلَ جَارِيَةً صَغِيرَةً عَلَى عُنُقِهِ فِي الصَّلاَةِ ، حديث رقم ٥١٦ . وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب جَوَازِ حَمْلِ الصِّبْيَانِ فِي الصَّلاَةِ ، حديث رقم ١٢٤٠ .

الله "، " إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ "[1] نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَــا)[2].

وكان (صلى الله عليه وسلم) يقول عن سيدنا أبي بكر الصديق (رضي الله عنه): "إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ"[3]، وفي رواية أنه (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ: " إِنَّ الله بَعَثَنِي إِلَيكُمْ فَقُلْتُمْ: كَذَبْتَ ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقَ ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُو لِي صَاحِبِي"[4] ، وكان يقول عن سيدنا سلمان الفارسي:

---

(١) التغابن: ١٥ .

(٢) سنن أبى داود ، كتاب الصلاة ، باب الإِمَامِ يَقْطَعُ الْخُطْبَةَ لِلأَمْرِ يَحْدُثُ ، حديث رقم ١١٠٩ ، وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مَنَاقِبِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ ، حديث رقم ٣٧٧٤ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الْخَوْخَةِ وَالْمَمَرِّ فِى الْمَسْجِدِ ، حديث رقم ٤٦٦ . وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مَنَاقِبِ أَبِى بَكْرٍ الصِّدِّيقِ (رضي الله عنه) ، حديث رقم ٣٦٦٠ .

(٤) صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب قول النبي (صلى الله عليه وسلم) لو كنت متخذًا خليلاً حديث رقم ٣٦٦١.

"سلمان منا آل البيت"[1] ، ولما عاد سيدنا جعفر بن أبي طالب من هجرته إلى الحبشة ووافق ذلك وصول البشرى لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) بفتح خيبر ، قبَّله رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، قبَّله رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين عينيه والتزمه ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : " مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَنَا أَفْرَحُ ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرٍ ؟"[2].

وعلمنا (صلى الله عليه وسلم) الجود الإنساني والذوق الراقي في آن واحد فقال (صلى الله عليه وسلم): " لاَ تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ"[3]، وقال (صلى الله عليه

---

(١) المستدرك على الصحيحين ، كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ (رَضِيَ الله عَنْهُمْ)، ذِكْرُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ (رَضِيَ الله عَنْهُ)، حديث رقم ٦٥٣٩. وتعقبه الذهبي في التلخيص قال : سنده ضعيف ، وقال في " سير أعلام النبلاء ج١/ ص ٥٤٠: في إسناده كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف ، وهو متروك .

(٣) المستدرك على الصحيحين للحاكم ، مِنْ كِتَابِ الْهِجْرَةِ الْأُولَى إِلَى الْحَبَشَةِ ، حديث رقم ٤٢٤٩ . وقال الذهبي في التلخيص: صحيح .

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآدب، باب اسْتِحْبَابِ طَلاَقَةِ الْوَجْهِ عِنْدَ=

وسلم) : " ... لاَ تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا ، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ "[1] ، سواء من جهة المعطية المنفقة التي لا ينبغي أن تستحي من قلة ما تملك فتحجم عن العطاء ، فرب درهم سبق ألف درهم ، يقول (صلى الله عليه وسلم): " مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ – وَلاَ يَقْبَلُ الله إِلاَّ الطَّيِّبَ – وَإِنَّ الله يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ "[2]، أم كان ذلك من جهة الآخذة أو الآخذ، إذ لا ينبغي أن نُحرج المعطي أو المهدي وإن كان ما يهديه قليلاً ؛ بل علينا أن نشكر له صنيعه وإن كان يسيرًا ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ

= اللِّقَاءِ ، حديث رقم ٦٨٥٧ .

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الهبة ، باب منه ، حديث رقم ٢٥٦٦ .وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِالْقَلِيلِ وَلاَ تُمْتَنَعُ مِنَ الْقَلِيلِ لِاحْتِقَارِهِ ، حديث رقم ٢٤٢٦ .

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ ، حديث رقم ١٤١٠ . وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا ، حديث رقم ٢٣٨٩ .

يَشْكُرِ الله "[1]، وهو ما أكده سيدنا عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) في حديثه عن الوصايا العشر في سورة الأنعام[2].

ومن هنا فإن إعلاءنا للقيم الإنسانية ليس أمرًا ثانويًّا أو مجرد أمر إنساني، إنما هو عقيدة وشريعة ودين ندين به لله (عز وجل)، فبدل أن تتناحر الأمم والشعوب وتتقاتل ، ويعمل بعضهم على إفناء أو إضعاف أو إنهاك أو تفتيت بعض ، فليتعاون الجميع لصالح البشرية جمعاء ، حيث يقول الحق سبحانه : " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا"[3].

ولو أن البشرية أنفقت على معالجة قضايا الجوع والفقر والمرض

---

(1) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب مَا جَاءَ فِي الشُّكْرِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ ، حديث رقم ١٩٥٤

(2) الآيات:{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ... الأنعام: ١٥١- ١٥٣] .

(3) الحجرات : ١٣ .

والتنمية معشار ما تنفق على القتال والحروب والتخريب والتدمير، لتحول حال البشرية إلى ما يصلح شئون دينها ودنياها.

وقد ضرب (صلى الله عليه وسلم) أروع المُثل في مراعاة البعد الإنساني في دعوته (صلى الله عليه وسلم)، ومن نماذج ذلك ما كان منه (صلى الله عليه وسلم) عندما قام أعرابي فبال في المسجد وهمَّ به بعض الحاضرين ، فَقَالَ لَهُمْ سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ ، أَوْ ذَنُوبًا مِنْ مَـاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ"[1].

وعن أبي أمامة (رضي الله عنه) قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا ، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا : مَهْ ، مَهْ ، فَقَالَ : "ادْنُهْ ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا"، قَالَ : فَجَلَسَ قَالَ: "أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟" قَالَ : لَا والله جَعَلَنِي

(١) متفق عليه: صحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، بَابُ صَبِّ المَاءِ عَلَى البَوْلِ فِي المَسْجِدِ ، حديث رقم ٢٢٠ . وصحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، بَابُ وُجُوبِ غُسْلِ الْبَوْلِ وَغَيْرِهِ مِنَ النَّجَاسَاتِ إِذَا حَصَلَتْ فِي الْمَسْجِدِ، وَأَنَّ الْأَرْضَ تَطْهُرُ بِالْمَاءِ، مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ إِلَى حَفْرِهَا ، حديث رقم ٩٩ .

الله فِدَاءَكَ ، قَالَ :"وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ" قَالَ : "أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟" قَالَ : لَا والله يَا رَسُولَ الله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ : "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ" قَالَ : "أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟" قَالَ : لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ :"وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟" قَالَ : لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ ، قَالَ : "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ"، قَالَ: "أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟" قَالَ : لَا والله جَعَلَنِي الله فِدَاءَكَ، قَالَ : "وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ" قَالَ : فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ : "اللهمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ"[1]، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ .

وعن معاوية بن الحكم السلمي (رضي الله عنه) : بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ الله، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ؛ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي ، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله (صَلَّى

---

(١) مسند أحمد ، ج ٣٦ / ص ٥٤٥ ، حديث رقم ٢٢٢١١ .

الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ؛ مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ؛ فوالله : مَا كَهَرَنِي ، وَلَا ضَرَبَنِي ، وَلَا شَتَمَنِي ، قَالَ : إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هُوَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ..."[1].

وعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ ، قَالَ : وَحَضَرَتِ الصَّلَاةُ ، فَصَلَّى مَعَ رَسُولِ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ: يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي أَصَبْتُ حَدًّا ، فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله ، قَالَ: "هَلْ حَضَرْتَ الصَّلَاةَ مَعَنَا؟" قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : "قَدْ غُفِرَ لَكَ"[2] ، وفي رواية قال : " فَإِنَّ الله قَدْ غَفَرَ لَكَ حَدَّكَ ، أَوْ قَالَ : ذَنْبَكَ"[3].

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ، باب تَحْرِيمِ الْكَلَامِ فِي الصَّلَاةِ وَنَسْخِ مَا كَانَ مِنْ إِبَاحَتِهِ ، حديث رقم ١٢٢٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى : {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ} [هود: ١١٤] ، حديث رقم ٤٤ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الموضع ، حديث رقم ٤٦ .

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ : بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ النَّبِيِّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله هَلَكْتُ. قَالَ : "مَا لَكَ؟" قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى امْرَأَتِي وَأَنَا صَائِمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟" قَالَ : لاَ ، قَالَ : "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَصُومَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ؟ قَالَ: لاَ، فَقَالَ: "فَهَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا ؟ قَالَ : لاَ، قَالَ : فَمَكَثَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ أُتِيَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بِعَرَقٍ فِيهَا تَمْرٌ – وَالعَرَقُ المِكْتَلُ – قَالَ : "أَيْنَ السَّائِلُ ؟" فَقَالَ : أَنَا ، قَالَ : "خُذْهَا ، فَتَصَدَّقْ بِهِ" ، فَقَالَ الرَّجُلُ : أَعَلَى أَفْقَرَ مِنِّي يَا رَسُولَ الله؟ فَوَ الله مَا بَيْنَ لاَبَتَيْهَا – يُرِيدُ الحَرَّتَيْنِ – أَهْلُ بَيْتٍ أَفْقَرُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ قَالَ: "أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ"(١) .

ولَمَّا سلط عليه أهل الطائف عبيدهم وصبيانهم يرمونه بالحجارة ،

(١) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب إِذَا جَامَعَ فِي رَمَضَانَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَيْءٌ فَتُصُدِّقَ عَلَيْهِ فَلْيُكَفِّرْ ، حديث رقم ١٩٣٦ .

ولجأ إلى ربه سبحانه وتعالى يدعوه ويضرع إليه ، فأرسل سبحانه وتعالى إليه ملك الجبال يقول له : يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : "بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"[1]، وهنا يقول جبريل (عليه السلام): "صدق من سماك الرءوف الرحيم"[2].

ولما دخل (صلى الله عليه وسلم) مكة فاتحًا منتصرًا ، قال : "يا أهل مكة ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي صَانِعٌ بِكُمْ؟" قَالُوا: خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ: "اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ"[3]، وذلك حيث يقول

(١) متفق عليه : صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ : آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ ، آمينَ فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ: حديث رقم ٣٢٢٤ . وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب مَا لَقِيَ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ، حديث رقم ٤٧٥٤ .

(٢) نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ، لمحمد بن عفيفي الباجوري ، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى : ١٣٤٥هـ) ط : دار الفيحاء ، دمشق . الطبعة: الثانية، ١٤٢٥ هـ ، ص: ٦١ .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب السير ، باب فَتْحِ مَكَّةَ حَرَسَهَا الله تَعَالَى ، حديث رقم ١٨٧٣٩ .

الحق سبحانه: "فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ الله لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ"[1]، ويقول سبحانه: "لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ"[2].

وعندما وجد في نفوس بعض الأنصار شيئًا أن فضل عليهم في العطاء بعض حديثي الإسلام جمعهم (صلى الله عليه وسلم) وقال: " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، مَقَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ؟ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ؟أَلَمْ آتِكُمْ ضُلّالًا فَهَدَاكُمْ الله بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ الله بِي؟ وَأَعْدَاءً فَأَلّفَ الله بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟) قَالُوا : الله وَرَسُولُهُ أَمَنّ وَأَفْضَلُ ، ثُمّ قَالَ : "أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟" قَالُوا : بِمَاذَا نُجِيبُك يَا رَسُولَ الله؟ لله وَلِرَسُولِهِ الْمَنّ وَالْفَضْلُ. قَالَ : " أَمَا والله لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَلَصُدّقْتُمْ : " أَتَيْتَنَا مُكَذّبًا فَصَدّقْنَاكَ ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ"، أَوَجَدْتُمْ عَلَيّ

---

(١) آل عمران : ١٥٩.

(٢) التوبة : ١٢٨.

يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لُعَاعَةٍ مِنْ الدّنْيَا تَأَلّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا؟، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ، أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النّاسُ بِالشّاءِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ الله إِلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَءًا مِنْ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النّاسُ شِعْبًا وَوَادِيًا ، وَسَلَكَتْ الْأَنْصَارُ شِعْبًا وَوَادِيًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ وَوَادِيَهَا ، الْأَنْصَارُ شِعَارٌ وَالنّاسُ دِثَارٌ، اللهمّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ) فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله (صلى الله عليه وسلم) قسمًا وحظًّا"[1].

فليتنا نتأسى ونقتدي به (صلى الله عليه وسلم) في أخلاقنا وفي دعوتنا إلى الله (عزوجل) .

❊ ❊ ❊

(١) مسند أحمد ، ج ٢٥/ ص ٨١ ، حديث رقم ١٢٠٤٩ ، وأصل الحديث متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار ، باب مَنَاقِبُ الأَنْصَارِ ، حديث رقم ٣٧٧٨. وصحيح مسلم، كتاب الزكاة ، باب إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الإِسْلاَمِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ ، حديث رقم ٢٤٨٦.

وحدة الأصل الإنساني (*)

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]، وفي هذه الآية أمر من الله تعالى لعباده بتقواه، وتنبيه لهم على قدرته الإلهية التي خلقهم بها من نفس واحدة، والمراد نفس آدم (عليه السلام) وخلق منها زوجها وهي حواء عليها السلام، ومن آدم وحواء خلق الله تعالى الناس جميعًا رجالًا ونساءً، وبث منهما رجالًا كثيرًا ونساءً، وانتشر الناس في سائر أنحاء الدنيا على اختلاف أجناسهم ولغاتهم وأشكالهم.

وفي آية أخرى قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ

(*) الأستاذ الدكتور/ أحمد عمر هاشـم ، عضو هيئة كبار العلمـاء ، رئيس جامعة الأزهر الأسبق ، مصر.

(1) النساء: 1.

﴿أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1]، فبين سبحانه وتعالى أنه خلق الناس من ذكر وأنثى هما آدم وحواء وجعلهم شعوبًا وقبائل .

فالناس سواسية في أصل الخليقة ، وجميع الخلق في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء عليهما السلام سواء ، وإنما يتفاضلون بطاعة الله تعالى ومتابعة رسوله ﷺ، وما دام الأصل الإنساني واحدًا فلا يصح لأحدٍ أن يستعلي على غيره لأي سبب من مالٍ أو شكلٍ أو لونٍ، فالله سبحانه وتعالى لا ينظر إلى صور الناس ولا إلى أموالهم، ولكن ينظر إلى قلوبهم وإلى ما تنطوي عليه جوانحهم وضمائرهم، فعن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ"[2].

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ، حديث رقم : ٢٥٦٤.

كما أن وحدة الأصل الإنساني سبب لإمكانية التواصل وأساس للتعارف والتضامن والتعاطف ، فلا يتفرق الناس ، ولا يختلفون، ولا يتفاخرون، ولا يتقاتلون، فالحكمة من جعلهم شعوبًا وقبائل أن يعرف بعضهم بعضًا، وأن يتعاونوا في عمارة الكون وتنميته.

إن واجب الإنسان أن يشعر بشعور غيره ، وأن يخف لنجدته ، ويعمل على قضاء حاجته ، وإجابة استغاثته دون أن يدعوه أخوه أو يناديه إلى مساعدته ؛ بل على كل قادر أن يساعد غيره ، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه كان معتكفًا في مسجد رسول الله ﷺ فأتاه رجل فسلّم عليه ، ثم جلس ، فقال له ابن عباس (رضي الله عنهما): يا فلان أراك كئيبًا حزينًا ، قال: نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ، لفلان عليَّ حق ، لا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : أفلا أكلمه فيك؟ قال: إن أحببت، قال: فانتقل ابن عباس (رضي الله عنهما) ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل: أنسيت ما كنت فيه؟ قال: لا ولكني

سمعت صاحب هذا القبر ﷺ ، والعهد به قريب – فدمعت عيناه – يقول: " مَنْ مَشَى فِي حَاجَةِ أَخِيهِ وَبَلَغَ فِيهَا كَانَ خَيْرًا مِن اعْتِكَافِ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَنِ اعْتَكَفَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله تَعَالَى جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ ثَلَاثَ خَنَادِقَ أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْخَافِقَيْنِ "(١).

والتعاون بين البشر في الخير والذي يمثله وحدة الأصل الإنساني تستوجب على الجميع أن يكونوا متضامنين في السراء وفي الضراء وفي الأحوال، فإن رآه مظلومًا سعى لرفع الظلم عنه، وإن رآه ظالمًا كفه عن ظلمه ، كما قال رسول الله ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ "(٢)، وقال ﷺ: " مَنْ مَشَى مَع مَظْلومٍ يُعينه ثبَّت اللهُ قَدميه على الصِّراط يَوم تَزُل الأقدام " (٣).

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي، الصيام، فصل فيمن فطر صائمًا ، حديث رقم: ٣٦٧٩.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المظالم ، باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا ، حديث رقم: ٢٤٤٤.

(٣) حلية الأولياء ، الأصبهاني، ٦/ ٣٤٨.

ويوضح الإسلام أن هذا التَّضامن بين الناس يجعل منهم قوة، وأن الذين يساندون غيرهم أفرادًا ومجتمعات وبلادًا ودولًا يعينهم الله (عز وجل) ويقرهم على ما هم فيه من نعم وخير، والذين لا يتضامنون ولا يتعاونون ينزع الله تعالى منهم نعمه ليعطيها غيرهم من المتعاونين، فقد قال رسول الله ﷺ: " إِنَّ لله عِنْدَ أَقْوَامٍ نِعَمًا يُقِرُّهَا عِنْدَهُمْ مَا كَانُوا فِي حَوَائِجِ النَّاسِ، مَا لَمْ يَمَلُّوهُمْ فَإِذَا مَلُّوهُمْ نَقَلَهَا مِنْ عِنْدَهِمْ إِلَى غَيْرِهِمْ "[1]، وتلك الأيام يداولها الله بين الناس، ومن سنن الله (عز وجل) في خلقه أنه يبقي النعم عند القائمين على حقها الشاكرين عليها، ويسلبها من الجاحدين الظالمين.

الصراعات بين البشر خروج عن التعاليم الإلهية:

إن التعاليم الإلهية التي جاء بها الإسلام تدعو الناس إلى التعاون، والتضامن ، والسلام العالمي ، والتعايش السلمى ، وتدعو الناس أن يدخلوا في السلم كافة ، وأن يكونوا في تعاون وتضامن

(١) المعجم الأوسط للطبراني ، حديث رقم : ٨٣٥٠.

بعيدين عن كل إيذاء أو عدوان ، وأن يكونوا آمنين مسالمين متعاونين .

فلا تقر الشرائع الإلهية ولا الأديان السماوية الصراعات بين البشر؛ لأن الله تعالى خلق البشرية من أصل إنساني واحد، ومن أب واحد وأم واحدة، من أجل أن يشعروا بهذا فينتشر التضامن والتعاون فيما بينهم لبناء حياة آمنة مستقرة، يسعى الناس فيها على اختلاف مشاربهم إلى الأمن والسعادة ، وإلى العمل البناء، وإلى إسعاد البشرية ورقيها ، وإلى مد يد العون إلى المحتاجين الذين يريدون الخير.

إن الإسلام إذ يدعو إلى السلام والتضامن ، ويحث الحضارات على التعاون فإنه لا يقر الصراعات ولا الانقسامات بين البشر، ولا يقر الصراع ولا الصدام بين الحضارات ؛ بل إن الإسلام لا يحل لمسلم أن ينظر لغيره نظرة يخيفه بها، ويوضح أن من يفعل ذلك يكون جزاؤه من جنس العمل، حيث يحشر يوم القيامة خائفًا فلا يكون آمنًا يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: "مَنْ نَظَرَ إِلَى أَخِيهِ نَظْرَةً

تُخِيفُهُ أَخَافَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[1]، كما نهى الإسلام عن الإشارة بالحديدة وإن لم يحدث ضرب، قال رسول الله ﷺ: " مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ"[2].

ولا يرتاب امرؤ صاحب عقل أن الصراعات مبعثها البعد عن التعاليم الإلهية ، وأننا عندما نوقن بأن الأصل الإنساني واحد ندرك حتمية أن نكون على قلب رجل واحد ، وأن يعيش هـذا العـالـم في سلام عالمي ، وتعايش سلمي ، وتعـاون وتضامن ، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[3].

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي، طاعة ولي الأمر، فصل في التشديد في الظلم، حديث رقم: ٧٠٦٤.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، حديث رقم: ٢٦١٦.

(٣) المائدة : ٢.

عالمية الإسلام وتحديات العولمة:

الإسلام دين عالمي، فالرسالة التي بُعث بها الرسول ﷺ رسالة عالمية لا تخص قومًا دون قوم، ولا مكانًا دون مكان، والرسول ﷺ أرسل للناس كافة بشيرًا ونذيرًا، ورحمة للعالمين، وقد وضح القرآن الكريم ذلك حيث بين أن الرسول ﷺ بُعث للعالمين، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[1]، كما وضح القرآن الكريم أيضًا أن الذين أُرسل إليهم هم كافة الناس، يبشر الطائعين المؤمنين، وينذر المخالفين، فقال الله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[3].

إن محتوى هذه الرسالة العالمية ومضمونها وغايتها الرحمة حيث جاء القرآن الكريم بالتعبير الذي يفيد الحصر والقصر في أن الرسالة

---

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) سبأ: ٢٨.

(٣) ص: ٨٧.

رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾، وكلمة "العالمين" تشمل الإنس والجن ، والإنسان والحيوان ، والنبات والشجر، وسائر المخلوقات ؛ بل إنها تشمل أيضًا المؤمنين والكافرين، والطائعين والعاصين.

أما الرحمة للمؤمنين والطائعين فمعروفة ، لأنهم أهل لها وجديرون بها، وأما الرحمة بالكافرين والعاصين فذلك في الدنيا حيث يطعمهم الله (عز وجل) ويسقيهم، ويعيشون في كونه ويستنشقون هواءه، ولو شاء الله تعالى لحرمهم نِعَمَ الوجودِ ، ولو شاء لعجّل لهم العقوبة فى الدنيا، أو لأخذهم بعذاب الاستئصال، ولكنها الرحمة التي تستوجب عليهم أن يفكروا بعقولهم، وأن يهتدوا إلى معرفة الخالق الرازق؛ فيؤمنوا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبسيدنا محمد ﷺ نبيًّا ورسولًا.

وهكذا تتميز عالمية الإسلام بأنها ربانية المبدأ والرسالة والمضمون والغاية؛ لأن الله تعالى هو الذي أرسل الرسول ﷺ، وهو الذي أنزل الكتاب، وهو الرحمن الرحيم.

ومما لا ريب فيه أن للإسلام مشروعه العالمي الحضاري الديني الثقافي الذي يستند إلى وحدة الأصل الإنساني، ويتمثل من أول عهد الإسلام ومنذ فجره الأول في العقيدة التي توحد الأمة وتجمعها بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله -لا نفرق بين أحد من رسله- والإيمان باليوم الآخر وبالقدر، ويتمثل أيضًا في التشريع الإسلامي، وما جاء به من تكاليف وعبادات ومعاملات وأحكام وأخلاق ومبادئ تحرر الفرد والمجتمع من الجهل والفقر والخوف والوهم، تحرره من الخوف على الحياة ومن الخوف على الرزق؛ لأن واهب الحياة هو الله، والرازق هوالله سبحانه وتعالى، وتلك المبادئ تعمل على حماية الثوابت وترسيخ العقيدة والهوية الإسلامية والثقافية والحضارية ، قال رسول الله ﷺ:"إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ الله وَسُنَّتِي "[1].

ويتميز المشروع الإسلامي الحضاري بالوسطية، فلا إفراط ولا تفريط، وبأصالته وسماحته مع اعتداله وحرصه على إقامة العدل

(١) مستدرك الحاكم ، كتاب العلم ، حديث رقم: ٣١٩.

ونصرة الحق والتعايش السلمي والحوار الحضاري الإسلامي للجميع؛ لأنه يرى أن الإنسانية في الإسلام ترجع إلى أصل واحد، حيث قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

* * *

---

(١) الحجرات: ١٣.

الوحدة الإنسانية ومنطلقاتها (*)

إن المتأمل في الجنس البشري يدرك تمام الإدراك وحدة أصله ووحدة مصيره، ومن خلال التأمل والنظر يتبين أن الأمور المشتركة بين البشر كفيلة بتحقيق وحدتهم إذا ما بقيت الفطرة على صفائها ونقائها، وذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان لعمارة الأرض وفق منهجه سبحانه، ولا تتحقق عمارة الأرض على الوجه الأكمل إلا بتحقيق منهج الله تعالى وسنته، واتباع قانونه في هذا الكون، وذلك يستلزم تحقيق العبودية الخالصة والكاملة للخالق جل وعلا.

وإذا أمعنا النظر في الطبائع المشتركة والغرائز المتشابهة بين بني البشر يتبين لنا بجلاء أن الناس لا يمكن أن يعيشوا أفرادًا متفرقين ؛ بل يستحيل تحقيق ذلك لما جبل الله تعالى عليه الإنسان من غريزة الأنس بالآخرين والعيش معهم ؛ فهو كائن اجتماعي بطبعه ، لا

(*) أ.د/ فريد بن يعقوب المفتاح ، وكيل وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف ، مملكة البحرين.

يمكن أن يعيش بمفرده منعزلًا عن الآخرين، ولكي يعيش الفرد في جماعة لابد أن يلتزم النظم والقوانين التي تحكم وتضبط علاقات الناس وتعاملاتهم، وأن يحترم الأعراف التي تجمعهم، وأن يشكل مع مجتمعه سلسلة مترابطة الحلقات بعضها ببعض.

وقد دعا الإسلام الناس في أرجاء المعمورة إلى تحقيق الوحدة الإنسانية المنشودة ، حيث يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾[1]، ويؤكد نبي الإسلام محمد ﷺ وحدة المنشأ والخلق والمصير لقيام ذلك المجتمع الإنساني حيث يذكر ﷺ أن" النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ"[2].

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) سنن الترمذي ، أبواب المناقب ، باب في فضل الشام واليمن ، حديث رقم: ٣٩٥٥.

أولاً: وحدة الأصل الإنساني:

يقول تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]، وهذه الآية تدلنا دلالة واضحة على وحدة الأصل البشري ، ولهذا جاء النداء للناس وليس للمؤمنين أو للمسلمين، فالناس فيهم المؤمن وغير المؤمن، وكأن الله تعالى يذكرهم بوحدة أصلهم ؛ ليكون ذلك دافعًا لهم على العمل الجاد لتحقيق وحدتهم في حياتهم ، وهذه الوحدة لابد أن تكون مبنية على الاحترام المتبادل ومراعاة تقوى الله تعالى ، وتحقيق العبودية الكاملة له سبحانه؛ لذا فإن التذكير بوحدة الأصل أكبر المبررات والمنطلقات التي تدعونا لفتح الحوار الذي يضع اللبنات الأولى في بنيان الوحدة الإنسانية.

---

(١) النساء: ١.

إن الآيات الداعية إلى الوحدة والتي تنطلق من التذكير بوحدة الأصل الإنساني كثيرة، فلابد من أن يتذكر الإنسان أصل خلقته وتكوينه ليعينه ذلك على التعايش مع أفراد جنسه في مجتمع بشري وإن اختلفت أنماط حياته، وتنوعت توجهاته، وتعددت ملله ومذاهبه، يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[1]، حيث يوجه الله تعالى الناس جميعًا إلى حقيقة واحدة ، ألا وهي خلقهم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء؛ ليلفت انتباههم إلى ضرورة ما ذكره سبحانه بعد ذلك من قوله ﴿لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ﴾ أي لتتحاوروا وتتفاهموا وتتقاربوا ، فهي ترسخ لمفهوم التكامل والتعايش، وتذكر الناس بأصل خلقتهم ليكون ذلك دافعًا لتعارفهم وتآلفهم وإن كانوا شعوبًا متعددة، وقبائل منتشرة، ومجتمعات لها هويات وثقافات متنوعة.

---

(١) الحجرات: ١٣.

ولا شك أن الأمر بالتعارف يدعو إلى حوارهادئ هادف، يحقق بعد ذلك وحدة إنسانية تقوم على أساس الهدف المشترك الذي يجمع بين أطياف البشر، وهو العيش على هذه الأرض في أمن وسلام ووئام واطمئنان ومحبة.

ثانيًا: وحدة الفطرة البشرية:

إذا كان أصل الإنسانية واحد ، فإن الفطرة التي خلق الله ذلك الأصل عليها من الملامح المشتركة بين بني البشر، فالله تعالى خلق آدم على الفطرة، وبالتالي فكل مولود من ذريته يولد على هذه الفطرة التي أثبت الله تعالى في كتابه أنها واحدة مع كل البشر قبل أن تتغير بعوامل مكتسبة، حيث يقول سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾[1]، فالناس كلهم تجمعهم فطرة واحدة أودعها الله في نفوسهم جميعًا، ولكي ننطلق إلى تحقيق وحدة إنسانية لابد من تأصيل هذا المبدأ وهو الأخذ بأصل الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها، فهي فطرة الله

(١) الروم: ٣٠.

الخالصة، دون تغيير أو تبديل؛ ولذلك أضافها الله إلى نفسه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾.

وقال تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[1]، فالفطرة التي فطر الله الناس عليها واحدة، وهي من أهم مبررات ومنطلقات قيام المجتمع البشري الموحد أو المجتمع الإنساني الواحد.

ثالثًا: وحدة الغرائز:

الناس جميعًا على اختلاف ألسنتهم وألوانهم يخضعون لقانون واحد من الطبائع والشهوات، وإن اختلفت قوة وضعفًا من مجتمع لآخر، فالحاجة إلى الطعام والشراب والنكاح والذرية... إلخ من الغرائز والحاجات الأساسية للنفس البشرية، لا تختلف من شخص لآخر ولا من مجتمع لآخر إلا في صورة التعبير عنها، وإذا ترك لكل فرد حرية إشباع غريزته على حساب الآخرين لتعطل قانون الحياة

(١) الأعراف: ١٧٢.

الاجتماعية، لذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى وهو الذي خلق الإنسان وأودع فيه هذه الغرائز قد نظم قانون هذه الغرائز بحيث يشبعها الإنسان بعيدًا عن الإضرار بالآخرين أو إيذاء من حوله من بني جنسه، وهذا القانون الرباني قد كفله التشريع السماوي في الشرائع السماوية كافة، فوحدة الغرائز تستلزم توحيد قوانين إشباعها، ومن ثم تعد عاملًا قويًّا من عوامل تحقيق الوحدة الإنسانية.

رابعًا: وحدة الصور الخلقية:

البشر صورتهم الخلقية واحدة ، وهي أحسن وأفضل صور المخلوقات الأرضية كما أخبر سبحانه في قوله:(عز وجل) ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[1]، أي في أحسن هيئة.

ويذكر الله تعالى الإنسان بنعمة إحسان خلقه وجمال هيئته وصورته في عدة مواضع من كتابه يقول (عز وجل): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ

(١) التين: ٤ .

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[1]، فبنو آدم على هيئة واحدة وإن اختلفت تفاصيل أشكالها وألوانها، وجسم الإنسان وتركيبه يدل على هذه الوحدة الخلقية، وهو ما يدعو إلى نوع من التقارب النفسي والتآلف الروحي، فالمخلوق يأنس بمن هم على مثل صورته، ولولا اتحاد الصورة الخلقية لبني البشر لما حدث بينهم هذا التعارف، ولما تكونت هذه المجتمعات البشرية ، ولما حصل هذا العالم الإنساني على وجه الأرض، ومن ثم فإن اتحاد الصورة الخلقية لبني الإنسان مبرر طبيعي لوحدتهم واجتماعهم.

خامسًا: **التكريم الإنساني الشامل** :

إن إخبار الله تعالى بتكريم بني آدم دون النظر إلى شيء آخر سوى إنسانيتهم التي تجمعهم تحت مظلة واحدة يدل دلالة واضحة على وحدة الأصل الإنساني، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ

---

(١) الانفطار: ٦ – ٨.

﴿كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا﴾[1]، فشمول التكريم لبني آدم يدل دلالة واضحة على وحدة أصلهم، وذلك لا شك مبرر قوي لقيام وحدتهم، فكما أن الصورة واحدة، والفطرة واحدة، والغرائز مشتركة ؛ فإن التكريم أيضًا عام وشامل لهم جميعًا.

سادسًا: وحدة الهدف:

الأهداف التي يسعى الأفراد لتحقيقها متنوعة لكنها لا تخرج في مجملها عن تحقيق غاية واحدة يسعى الجميع إليها، وهي: السعادة العامة والشاملة، ولتحقيق هذه الغاية، فإن الأفراد يتخذون وسائل متنوعة وطرقًا متعددة للوصول إليها.

ثم إن هناك جانبًا آخر ألا وهو وحدة الهدف من خلق الإنسان، فالله تعالى خلق الناس جميعًا لهدف واحد وهو عمارة الأرض وفق منهج الله تعالى بتحقيق عبوديته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾[2]، فهذا الهدف الذي يجتمع

---

(١) الإسراء: ٧٠.

(٢) الذاريات: ٥٦.

الناس جميعًا عليه حري به أن يحقق وحدتهم.

سابعًا: وحدة المصير:

كما أن أصل خلق الناس واحد فكذلك مصيرهم واحد، وكما أن بدايتهم واحدة فنهايتهم واحدة، يقول تعالى ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[1]، الناس كلهم يخرجون إلى الدنيا وفق قانون واحد، ويخرجون منها أيضًا وفق قانون واحد، وهذا القانون الذي حدد وجودهم هو الذي حدد نهاية وجودهم، والله وحده هو القادر على ذلك، يقول (عز وجل): ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3].

فإذا كان الأصل واحدًا وكان المصير واحدًا؛ فلماذا لا يكون ذلك مبررًا للوحدة الإنسانية؟ ولا شك أن وحدة الأصل ووحدة المصير وبينهما وحدة الهدف والغرائز والصورة تبرر للعقلاء التنادي

---

(١) آل عمران: ١٨٥.

(٢) آل عمران: ١٤٥.

(٣) الأعراف: ٣٤.

بصوت واحد لقيام مجتمع إنساني واحد، أو وحدة إنسانية شاملة.

وسائل تحقيق الوحدة الإنسانية:

هناك بعض الوسائل التي يمكن من خلالها تحقيق الوحدة الإنسانية، ومن أبرز هذه الوسائل ما يلي:

الإحاطة بمبررات الوحدة الإنسانية وأهميتها ومنطلقاتها:

لابد لدعاة الوحدة الإنسانية من القناعة التامة بضرورتها وأهميتها للأفراد والمجتمعات، ولابد من قناعتهم أيضًا بمدى خطورة غيابها ، حيث إن الوحدة الإنسانية تضمن جوًّا عامًّا من التفاهم الذي يقرب وجهات النظر، ويدفع إلى تعاون أكبر في عدد من المجالات التي تصب في صالح الإنسانية عامة، كما أن غياب هذه الوحدة من شأنه أن يعكر صفو العلاقات الإنسانية، ويؤدي إلى خلق أجواء غائمة بالتوجسات من كافة الأطراف، وهذا من شأنه الإضرار بالمجتمع الإنساني عامة ، ويدفع إلى دوامة من العداء والحروب التي لا تحصد الإنسانية منها إلا الدمار والخراب والضيـــاع.

لذا فإن العقلاء من كل ملة ومذهب يجب أن تعلو أصواتهم بنداءات التفاهم لتحقيق الوحدة الإنسانية ومن ثم تحقيق الأمن والسلام والرخاء والاستقرار للإنسانية جمعاء، وهذه الغاية لابد من وسائل لتحقيقها، وأهم هذه الوسائل القناعة التامة أن هناك مبررات واقعية تنطلق من أسس وقواعد مصيرية يمكن أن تسهم بشكل واقعي في العمل الجاد لوحدة إنسانية يعيش فيها المجتمع البشري متفاهمًا وآمنًا.

اعتماد تأصيل منهجية الحوار الإيجابي والاحترام المتبادل:

الحوار الهادئ والاحترام المتبادل بين الأمم والشعوب والحضارات، وحتى على مستوى الأفراد هو محور التعايش الإيجابي والتفاهم الإنساني، وهو السبيل إلى فهم الآخر والاطّلاع على وجهة نظره وتوجهاته.

ولغياب منهجية الحوار بين الأفراد والمجتمعات والأمم خطورة كبرى، فالحروب والدمار الذي لحق بالعالم في حقب التاريخ المتوالية كان بسبب غياب منهجية الحوار والاعتراف

بالآخر، لذا فالحوار والاحترام منهجان بالغان الأهمية في حياتنا الإنسانية؛ حيث يجنبان البشرية ويلات الحروب والآثار المدمرة للصدامات والنزاعات، وبالحوار تتقارب وجهات النظر، ويعرف الإنسان ما له وما عليه تجاه الآخرين، وتدرك كل أمة أهمية تفاعلها الإيجابي مع سائر الأمم، وبهذا نصل إلى وجهة نظر واحدة خلال حوار حضاري هادئ.

ولقد أعطى الإسلام للحوار أبعادًا أخرى لم يسبق للبشرية أن عرفتها ؛ بل جعل الإسلام الحوار أساسًا لدعوته وقاعدة لقيام مجتمعه ودولته، قال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[1]، وإذا كان الإسلام قد حث أتباعه على دعوة الآخرين بالحسنى فقد أمرهم بالحوار مع الآخرين بالتي هي أحسن، ويتأكد الحوار الهادئ المبني على الاحترام والثقة المتبادلة بين المسلمين وبين أتباع الرسالات السماوية الأخرى في قوله جل وعلا في محكم التنزيل: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ

---

(١) النحل: ١٢٥.

﴿أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[1].

بهذا السمو الفكري والتعامل الإيجابي يأمر الإسلام أتباعه، وعلى هذا النهج الحضاري قامت علاقات المسلمين مع غيرهم من أتباع الديانات والمذاهب المختلفة.

احترام التعددية الفكرية والثقافية:

خلق الله الخلق وصوّرهم في صور تختلف عن بعضها في كل التفاصيل أو في بعضها، فهناك تنوع وتعدد في صورة الخلق استلزم تنوعًا وتعددًا في الطباع والعقل والفكر والثقافة ... إلخ، ولاشك أن تعدد الصور دليل على تنوع الحاجات والفكر والثقافة والطباع، وكل نوع من المخلوقات لا يكاد يتفق اتفاقًا تامًّا مع بقية الأنواع ؛ بل إن الجنس الواحد من هذه المخلوقات يختلف اختلافًا عجيبًا مع أفراد نفس الجنس، فليس الذكر كالأنثى، وليس الشاب كالكهل؛ والأعجب من هذا أننا نرى في فرد واحد من أفراد الجنس ذاته تنوعًا وتباينًا في أمزجته وتوجهاته وأهدافه ؛ بل تتغير هـذه الأمـور

(١) العنكبوت: ٤٦.

تبعًا لتغير الأحوال وتبدُّل المواقف .

وهذا التنوع الدقيق والاختلاف الجبلِّي الطبيعي هو سر التوازن في هذا الكون، فالتنوع يجعل الجميع في حاجة إلى الآخرين، وعلى هذا النمط اختلفت الثقافات وتعددت المدارس الفكرية وتنوعت الحضارات، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾(1)، وقال (عز وجل): ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(2).

فهذه حكمة التنوع فبدونه يستحيل التعايش ؛ بل يستحيل بقاء النوع البشري لما يترتب على عدم وجود الحاجات المشتركة من مشاحنات وخلافات، لذلك قسَّم الله النَّاس وجعلهم درجات ونوّعهم تنويعًا دقيقًا في هيئة الخلق وفيما أودعه في النفس من غرائز

---

(1) هود، الآيتان: ١١٨، ١١٩.

(2) الزخرف: ٣٢.

وحاجات وعقول، وكما قسم بينهم خلقهم ورزقهم قسم بينهم عقولهم وثقافتهم، وذلك من باب التنوع التكاملي.

والاختلاف الفطري بين البشر يُنتج نوعًا من الاحتكاكات الطبيعية في المواقف الحياتية، وهذا بدوره ينتج نوعًا من التعايش المطلوب بين أفراد الجنس البشري، فالاختلاف في تقدير الأشياء والحكم عليها أمر فطري وله علاقة بالفروق الفردية، وشبكة العلاقات الاجتماعية بين الناس تقوم أساسًا على هذا التنوع؛ إذ لا مجال للتفاعل والاكتساب والعطاء عبر النمطية الواحدة والقدرات المتساوية.

ولو لم تكن هذه التعددية وهذا التنوع والاختلاف لما كانت حوافز الاستباق ودواعي التدافع وأسباب التنافس بين الأفراد والأمم والأفكار والفلسفات والحضارات، ولكانت الحياة سكونًا آسنًا ومواتًا لا حيوية فيه، ولما استطاع الإنسان تحقيق مقاصد الأمانة التي حملها بالاستخلاف لاستعمار الأرض؛ بينما الاعتماد على وحدة النموذج الفكري والحضاري هو باب التقليد والتشبه ، ومن

ثم السكون وذبول إمكان الإبداع المفضي إلى الموت .

إن التنوع من أعظم آيات الله الدالة على قدرته تعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾[1]، فالتعددية والتنوع لا تنفي الوحدة الإنسانية ؛ بل ينبغي أن تكون عاملًا من عوامل تقوية الأواصر والصلات.

الحركة الفكرية المنضبطة:

الإسلام دين العلم، والعلم إنتاج العقل، والعقل مناط التكليف، إذًا فالإسلام دين العقل، ولقد أعطى الإسلام للعقل حريته الكاملة دون حواجز وفق الضوابط العامة التي تكفل حق الحريات للآخرين، والإسلام برعايته للعقل يضمن للطوائف البشرية حرية فكرية تصل إلى درجة حرية المعتقد والتدين، ولذلك جاءت دعوة الإسلام دون إكراه، ودعت إلى تحكيم العقل والتدبر والتفكير، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لله

(١) الروم: ٢٢.

مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾[1] ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾[2].

لذا نجد أن الإسلام انتشر في الأرض انتشارًا سريعًا وعظيمًا ؛ لأنه خاطب العقل ، وترك للناس حرية الاختيار دون إكراه ، ومن هنا فإن اعترافنا بمبدأ الحرية يجعل الطريق إلى الوحدة الإنسانية قريبًا وممهدًا ، لكن ينبغي أن تكون هذه الحرية الفكرية منضبطة باحترام الآخر ، ومنطلقة من الثوابت والهوية.

وختامًا .. فالوحدة الإنسانية المنشودة لا تعني أن تذوب الهويات وتتلاشى الخصوصيات ؛ بل إن الوحدة المنشودة تعني التمسك بالهوية واحترام الخصوصيات الدينية والثقافية والفكرية لكل أمة، ومحور الوحدة الإنسانية هو قيام مجتمع إنساني آمن تتعايش مجتمعاته في سلام ، وفي ظل احترام متبادل يضمن للجميع حرية النمط الثقافي والهوية الفكرية ، وكذلك فإن الاحترام المقصود

---

(١) سبأ: ٤٦.

(٢) البقرة: ٢٥٦.

لا يعني وجوب الإقرار؛ بل يعني الاعتراف بحق الاختلاف والتعددية الفكرية والثقافية.

❊ ❊ ❊

الركائز الإنسانية للحضارة الإسلامية (*)

إن القيم الإسلامية لا تعيش بذاتها في عالم مجرد، كما أنها لا تقدم نفسها بنفسها لمن يحتاج إليها ممن يجهلها ، وإنما تعيش القيم الإسلامية بتجسدها في الواقع عندما تشكل الذهن ، وتصوغ الوجدان، وتوجه السلوك الفردي والجماعي ، والمسلمون هم المسئولون عن تجسيد هذه القيم في واقعهم ، وتبليغها إلى غيرهم ممن يحتاجون إليها.

ومن هذه القيم الإسلامية أو السنن الإلهية التي ينبغي للمسلمين العمل بها سنة الأخذ بالأسباب ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، فالله سبحانه وتعالى قادر على التغيير المباشر دون وساطة أو شرط، لكنها سنة سنها الله (عز وجل) لخلقه يأمرهم بمراعاتها والأخذ بها.

(*) أ.د/ بو عبد الله غلام الله، وزير الشئون الدينية والأوقاف سابقًا ، الجزائر.

(١) الرعد: ١١.

إن الاكتفاء بترديد أن الإسلام هو خير منهج لإسعاد البشرية يظل مجرد ادِّعاء ما لم يبرهن المسلمون على هذه الصلاحية وهذه الخيرية، وذلك بتجسيد قيم الإسلام ومبادئه في واقع حياتهم، وتحقيق كيان حضاري يكون نموذجًا رائدًا يفرض نفسه بذاته وبحسن العرض والإقناع ؛ فينجذب إليه الغير عن طواعية واختيـار.

لابد للمسلمين أن يعيشوا قيم الإسلام، ويثيروها، ويبحثوا لها عن تطبيقات تستجيب للمشكلات التي يفرزها الواقع وتتلاءم مع طبيعة العصر ومنطقه وظروفه وملابساته؛ مما يجعل لها نفاذًا في حياة الأمم والجماعات التي يتعايشون معها، وفي هذه الحالة يمكنهم أن يتحدثوا عن خيرية الأمة الإسلامية، وعن الركائز الإنسانية التي تقوم عليها حضارتهم، وعما يمكن أن يقدمه الإسلام للحياة وللعالم حاضرًا ومستقبلًا، وبذلك يستطيعون أن يسهموا في رسم ملامح الغد الجديد للبشرية.

قيمة الكرامة الإنسانية:

إن أول قيمة من القيم الإسلامية التي يحتاجها العالـم المعاصـر

هي الكرامة الإنسانية؛ لأن أول ما تتحقق به سعادة الإنسان هو شعوره بكرامته كإنسان، من أجل ذلك أولاها الإسلام عناية بالغة فدعا إلى تقديرها واحترامها ؛ بل جعل ذلك واجبًا دينيًّا مقدسًا، وهذا الواجب يدركه الإنسان بعقله الذي هو علة هذا التكريم أصلًا، ومعنى ذلك أن الإنسان الحق لا يمكن أن يقع في التناقض بين معتقده وتفكيره وسلوكه؛ لأنها جميعًا تصدر عن هذا العقل، فهي محكومة بميزانه مضبوطة بمقاييسه، فإذا أدرك هذا الإنسان أنه كُرِّم من أجل إنسانيته فكيف يتصور أن يهين إنسانًا آخر مثله لأنه يخالفه في عقيدته ، أو في تفكيره وقناعاته، لذلك كان من المنطقي أن يقتضي احترام كرامة الإنسان محاربة التعصب والإكراه ، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1]، فهو سبحانه قال : ﴿ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾، أي أن هذا التكريم وقع منذ بدء الخليقة من قبل أن تعرف اعتبارات الجنس

---

(١) الإسراء: ٧٠.

والعقيدة، وبهذا المعنى يكون التكريم الإلهي في مخاطبة الناس جميعًا تكريمًا للإنسانية، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1].

من أجل ذلك جعل الإسلام التعبير عن احترام هذا التكريم الإلهي هو الخلق الحسن، أو المعاملة الحسنة المقصودة لذاتها من غير اعتبار لجنس أو دين أو لغة أو ثقافة، قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾[3]، وقد كان أول من جسد هذه القيمة الخلقية التكريمية للإنسان هو رسول الله ﷺ، حيث إنه وهو يخاطب كفارًا مشركين يقول في تواضع جم: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4]، ويقول: ﴿لَّا

(١) النساء: ١.

(٢) فصلت: ٣٤.

(٣) الأعراف: ١٩٩.

(٤) سبأ: ٢٤.

﴿تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[1]، لقد نسب الضلال لنفسه وهو سيد الخلق المصطفى ﷺ تساميًا منه بهذا الخلق الإنساني العظيم، ألا وهو تكريم الإنسان كإنسان، هذا الذي خلقه الله في أحسن تقويم، وخصَّه من دون سائر خلقه بالإرادة الحرة والمسئولية، وهيَّأ له من القيم ما يؤهله لمهمته العظيمة ورسالته الجليلة التي هي عمارة الأرض، ولقد أوضح الله تعالى هذه الحكمة من خلال سؤال الملائكة لله عز وجل: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[2]، فقال سبحانه: ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[3]، فقد علَّم آدم ما لم يعلمه للملائكة لأنه شاء سبحانه أن يجعل هذا الإنسان هو المركز، ويجعل كل شيء مسخرًا له في إطار ذلك التكريم.

إن تكريم الإنسان في الإسلام يندرج في إطار فلسفة كاملة متميزة بشموليتها وتكاملها ووحدة مرجعيتها، ومن خصائص هذا

---

(١) سبأ: ٢٥.

(٢) البقرة، جزء من الآية: ٣٠.

(٣) البقرة، جزء من الآية: ٣٠.

التميز أنها لا تنظر إلى الإنسان على أنه موضوع مادي، ومن ثم لا تنظر للمجتمع على أنه كم بشري يمكن صلاحه واستقراره بمجرد توفير شرطي الغذاء والأمن ؛ بل تنظر إليه من خلال ذلك التكريم المرتبط ببعديه الروحي والمادي، ورسالته على الأرض، وهذه القيمة مرتبطة بالعقيدة.

ولقد دلت تجارب المجتمعات في تطور حياتها أن احترام الكرامة الإنسانية ينبع من عقيدة صحيحة؛ لضمان الترابط الروحي بين الناس باعتبارهم جميعًا أعضاء أسرة واحدة هي الإنسانية، ولأنها تكبح فيهم كل أنواع التوتر والخصام والصراع والعدوانية، كما تحررهم من كل النزعات الاستعلائية والإقصائية التي تعتبر الأسباب الرئيسة للأزمات والاضطرابات التي قد تعانيها المجتمعات البشرية .

كرامة الإنسان في الإسلام:

كفل الإسلام للإنسان الحق في الحياة ، والأمن ، والعدل ، والملكية ، والتنقل، وكفل له حرية المعتقد والرأي، وما إلى ذلك من الحريات والحقوق المعروفة اليوم بالحقوق المدنية والسياسية، والتي

ترسِّخ لكرامة الإنسان وتحفظها، ونحن عندما نتحدث عن حاجة العالم المعاصر إلى القيم الإسلامية فإننا لا نعني ابتكار حقوق جديدة، ولنأخذ لذلك مثلًا يجلي هذه الحقيقة: إن حق التصرف في الملكية الخاصة مكفول في الحضارة المعاصرة، لكن الإنسان عندما يمارس هذا الحق قد يضيق بالإنفاق على والديه مثلًا، كما أنه قد يحرم أقاربه من مساعدة تنقذهم من الفاقة والعوز، هذا السلوك لا يبيحه الإسلام: "أَنْتَ وَمَالُكَ لِوَالِدِكَ"[1] كما قال عليه الصلاة والسلام، والملكية في الإسلام إنما هي في الأصل أمانة، والإنسان مستخلف فيها ومسئول عنها وفق ما أمره الشرع؛ لتعود بالخير عليه وعلى المجتمع.

قيمة العدل والمساواة:

إن قيمة الكرامة الإنسانية تستتبع الحديث عن قيمة العدالة التي تعتبر مقصدًا عامًّا لجميع التشريعات، ومعنى جوهريًّا وهدفًا

---

(١) سنن أبي داود، كتاب أبواب الإجارة، باب في الرجل يأكل من مال ولده، حديث رقم: ٣٥٣٠، وسنن ابن ماجه كتاب الإجارات، باب ما للرجل من مال ولده، حديث رقم: ٢٢٩١.

لجميع القوانين؛ لأنه من دون عدالة لا يمكن تحقيق المساواة بين الناس بعد أن تساووا في الكرامة الإنسانية باعتبارهم جميعًا عيال الله سبحانه وتعالى، لا اعتبار في ذلك لجنس أو عقيدة أو لغة أو جاه أو سلطة أو نسب.

وما أحوج عالمنا إلى هذه القيمة بمفهومها الإسلامي المتميز، وهذا التميز يأتي من كون الخالق سبحانه وتعالى كتب على نفسه العدل بين خلقه ثم ألزمهم به، قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[1]، وفي مجال الخصومات يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[2]، وفي مجال علاقة المجتمع الإسلامي بغيره من

---

(١) الأنعام: ١٥٢.

(٢) النساء: ٥٨.

المجتمعات يقول تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[1]، والحقيقة أن جميع آيات القرآن الكريم التي تتحدث عن أساليب الحياة الصحيحة السليمة نجدها مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بقيمة العدل؛ فقد أوصت بالعدل في العلاقة الزوجية، وبين الأولاد، وتحريم الربا حتى لا يستغل الغني الفقير، وضمان حق الفرد في المنافع العامة، وهو ما يسمى اليوم بالحق الاقتصادي.

وتاريخ الإسلام حافل بالأمثلة التي لم يشهدها التاريخ من قبل، فكم من مرة تساوى فيها خليفة المؤمنين ورجل من أهل الكتاب، ولا عجب بعد أن يقول سيد المرسلين ﷺ:" إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[2].

---

(١) الممتحنة: ٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٤٧٥.

قيمة المعرفة:

ما من شك في أن جميع الأمم والمجتمعات تقدر المعرفة وتقدر العلم الذي لا تنهض حياة بدونه، ولا تنمو حضارة بغيره، والذي يقدمه الإسلام ليس قيمة المعرفة في ذاتها، ولكن يقدم الفلسفة المتميزة التي تقوم عليها من حيث المصادر والغاية، فالمعرفة في المنظور الإسلامي من أعظم النعم التي خُصّ بها الإنسان، فبالعلم الذي وهبه الله تبارك وتعالى لآدم استحق سجود الملائكة له، وبه كملت أهليته لعمارة الأرض وتحقيق العبودية فيها لله سبحانه وتعالى.

والمعرفة في الإسلام متميزة بخصائص ذاتية سواء في مرجعيتها أو وظيفتها، وهذه الخصائص هي ثمرة عقيدة التوحيد، فعالم الغيب نهتدي إليه من خلال التدبر والتفكر في عالم الشهادة بتوجيه الوحي، والإنسان سيد في الكون المسخر له ، وهو عبد الله الذي خلقه وكرمه بالعقل الذي يقوم بوظيفتين متكاملتين ، الأولى: استكناه أسرار المادة للتحكم فيها باعتبارها من سنن الله في خلقه، والثانية: تعميق الإيمان بالله تعالى بالنظر في بديع خلقه.

إن تعطيل الوظيفة الثانية يجرد قيمة المعرفة من بُعدها العقدي الأخلاقي الإنساني، ويعطل مصدرها الثاني إلى جانب العقل، وهو القلب، وبيان ذلك أن هناك عالمين: العالم الحسيّ الظاهر وقد زودنا الله تعالى بوسائل إدراكه وهي الحواس والعقل، والعالم الغيبيّ وقد زودنا الله تعالى بوسائل إدراكٍ له باطنية، والإنسان قد ينكر هذا المصدر الثاني للمعرفة، مما يجعله حبيس أحد شطري الحقيقة ألا وهو الشطر المادي.

إن ما يميز قيمة المعرفة في الإسلام أن الإنسان أكبر من العقل وأكبر من الحواس؛ لأن له من وسائل الإدراك الحقيقية وتحصيل العلم والمعرفة ما هو أكثر يقينية في دلالته من الحواس والعقل؛ يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، إن السمع والبصر من الحواس ومن وسائل الإدراك التي نجدها عند علماء المناهج ومنظري المعرفة الإنسانية والمؤرخين

---

(١) النحل: ٧٨.

لها، لكن الأفئدة لا نجد لها أثرًا عندهم لا قديمًا ولا حديثًا، وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[1].

إن القرآن الكريم يصف أحيانًا القلب بالعقل، ويصفه أحيانًا بالفقه، وهو كما نعلم جميعًا مرتبة أعلى من عقل الأمر والعلم به، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[2]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾[3]، فالقلب في القرآن الكريم يوصف بالعقل وبالفقه وبالعمى لأنه وسيلة من وسائل الإدراك الباطنية، ومن هنا كان الخاصية الأساسية المميزة لقيمة المعرفة في الإسلام.

كما أن القرآن الكريم لم يستعمل كلمة العقل كمصدر للمعرفة

---

(١) الإسراء: ٣٦.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) الحج: ٤٦.

بل استعمل الفعل يعقلون؛ لأن القرآن لا يقر بوجود جوهر مستقل بذاته هو مصدر المعرفة، فمصادر المعرفة في الإسلام هي الحواس والتعقل والفؤاد؛ لذلك كانت هناك ثلاث مجالات للمعرفة، وهي: العلم بالله سبحانه، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[1]، وهذا معناه إدراك أصل الخلق والعلة من الوجود، ورسالة الإنسان على الأرض، ومصيره بعد الموت، والعلم بشريعته سبحانه حتى يهتم بتلك الرسالة كما يحب خالقه ويرضاه، وحتى يضمن الاستقامة كما أمر، والعلم بالكون وبالطبيعة سواء كان هذا العلم تجريبيًّا طبيعيًّا أو إنسانيًّا، كل ذلك مع الأخذ بالأسباب من أجل إسعاد البشرية؛ لأن العلم في الإسلام لا يتصور إلا نافعًا هاديًا مرشدًا.

فلا غرابة بعد ذلك كله أن يوجب الإسلام العلم ويجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة؛ ويكرم العلماء ، فيجعلهم ورثة الأنبياء ، ويزن يوم القيامة مدادهم بدماء الشهداء، يقول تعالى:

---

(١) محمد: ١٩.

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]، وإذا كان التوحيد هو أصل كل الأصول في الإسلام، إلا أن أول ما طلبه الوحي من الإنسان هو القراءة؛ لأن العقيدة نفسها لا تقوم إلا على العلم.

فمعنى أن يكون الإنسان إنسانًا هو أن يكون عالمًا، ومعنى أن يكون مؤمنًا هو أن يقوده علمه إلى الإيمان، مع الإشارة إلى أن القرآن الكريم يفرق بشكل واضح بين العلم والمعرفة، فالعلم: هو الإدراك المباشر الكلي اليقيني، وهذا لا يكون إلا لله وحده، أما بالنسبة للإنسان فالعلم نسبي ومقيد ولا يكون إلا بواسطة، فلا يقال في الإسلام: علمت الله، بل يقال: عرفت الله، لأن هذه المعرفة تكون بواسطة، أي تكون بعد الإيمان بالله والنظر في ملكوته وبديع صنعه وخلقه، بمعنى أن الإنسان كلما ازداد معرفة بسنن الله كلما ازداد معرفة به سبحانه وخشية له، ومن هنا كانت علاقة الخشية

---

(١) المجادلة: ١١.

بالعلم، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[2].

هذه السببية أو الواسطة المعرفية هي إحدى خصائص قيمة المعرفة في الإسلام؛ لأنها تتصل بالإيمان من جهة وتتصل بمسئولية الإنسان في عمارة الأرض من جهة أخرى، وهي العلة من وجوده، وإدراك رسالته، وعلاقته بخالقه، ومن هنا تميزت علاقة الإنسان بالكون والطبيعة في المنظور الإسلامي، فالطبيعة فضاء لمعرفته وليست محيطًا ماديًا عدوانيًا له، فهناك صلة وألفة وتكامل ومودة بين الإنسان والطبيعة.

وختامًا .. فإن العلم نعمة، لكنه إذا لم يتقيد بعقيدة تضمن حسن استثماره باعتباره وسيلة لإسعاد البشرية، فإنه قد يتحول إلى

---

(١) البقرة: ٢٨٢.

(٢) فاطر: ٢٨.

نقمة تهدد هذه البشرية بالهلاك لغياب الوازع الديني والأخلاقي، كما أنه مع حفظ كرامة الإنسان والعدل بين الناس من الركائز الإنسانية للحضارة الإسلامية.

❋ ❋ ❋

الإنسان ومنزلته في الإسلام (*)

لقد بينت الشريعة الإسلامية مدى اهتمام الإسلام بالإنسان بصورة غير معهودة في النظم القديمة والحديثة؛ من حيث الاهتمام به قبل الوجود وبعد الممات، والاهتمام به في مراحل حياته المختلفة، والاهتمام به جسدًا وروحًا، والاهتمام بغرائزه وعواطفه، والاهتمام به مفكرًا، والاهتمام به فردًا وأسرة ومجتمعًا، كما وضعت له من القواعد والآداب ما تستقيم به حياته دون اعتبار للون أو جنس أو عرف، وبصَّرته بما يكسبه سعادة الدارين، وهذه هي غاية الإسلام "تحقيق السعادة والسلام"، وقد أظهر الإسلام منزلة الإنسان بين سائر المخلوقات بإبراز بعض السمات الإنسانية التي امتن الله سبحانه وتعالى بها عليه ونبهه إليها، ومن ذلك ما يلي:

١ـ حسن وجمال الخلق:

ونصوص القرآن الكريم واضحة الدلالة في هذا، قال تعالى:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ

(*) أ. د/ بكر زكي إبراهيم عوض، عميد كلية أصول الدين، جامعة الأزهر سابقًا.

بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[1]، وقال سبحانه:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[2]، وقال (عز وجل): ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[3].

وإذا كان كثيرون قد ركزوا على جمال البنيان، وقارنوا بين صورة الإنسان وصورة غيره من المخلوقات الأخرى، فقد فاتهم صور من الجمال لم يهتموا بها وأخصها بالذكر العقل، وهو مناط الجمال الحقيقي في الإنسان، ومن مناط الجمال البيان، وهو من نعم الله (عز وجل) على الإنسان ، قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ﴾[4]، وقال سبحانه

---

(١) الانفطار، الآيات: ٥-٨.

(٢) التين: ٤.

(٣) غافر: ٦٤.

(٤) الرحمن، الآيات: ١-٤.

وتعالى: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ ۝٩ وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾[1]، وقد فاوت الحق بين الخلق في هذه الخاصية، حتى إن أحدهم ليأخذ بالعقول والقلوب إذا تكلم، وفي الحديث: " «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً» "[2]، " إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا"[3]، وفي الحديث أيضًا بحق شعيب (عليه السلام) أنه " خَطِيبُ الْأَنْبِيَاءِ"[4]، ومما ذكره الرسول ﷺ بحق نفسه قوله: " وَأُوتِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ"[5].

ومن مناط الجمال بالإنسان تركيب وسائل المعرفة فيه وقيامها به، فليس الإنسان آلة صماء تحركها الرياح أو الأمواج أو التيارات الكهربائية بل قامت به آلات شتى، منها ذاتي العمل بقدرة الله وهو

---

(١) البلد، الآيات: ٨ - ١٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب ما يجوز من الشعر، حديث رقم: ٦١٤٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح ، باب الخطبة، حديث رقم: ٥١٤٦.

(٤) مستدرك الحاكم، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر شعيب النبي، حديث رقم: ٤٠٧١.

(٥) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، حديث رقم: ٥٢٣.

ما لا تصح الحياة إلا به ، كالقلب والكلى والجهاز الهضمي والتنفسي ، ومنها ما يتحكم الإنسان في حركته ، وقد وضع الإسلام آدابًا له عند الانتفاع بها، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، مع النص على مسئولية الإنسان عن استخدام هذه الآلات وحثه على حسن الانتفاع بها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾[2].

ومن مناط الجمال في الإنسان الإرادة المغروسة فيه، والإنعام عليه بنعمة الأمل، وبالقدرة على الاختيار بين البدائل، ويصل ذلك الأمر إلى حد الاختيار في الاعتقاد، قال تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3]، وقال (عز وجل): ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ

---

(١) النحل: ٧٨.

(٢) الإسراء: ٣٦.

(٣) الكهف: ٢٩.

ﭐلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[1]، ولابد في الإسلام من ضبط الإرادة لتحديد مسئولياتها الاجتماعية، فعنها ينشأ الضمير الحي الواعي الذي يرسم السبيل الواضحة لمن أراد لنفسه الهدى، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾[2]، وكما قال الرسول ﷺ: " لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا"[3]، فالإرادة هي الفارق الحاسم بين الإنسان والحيوان، ومناط المسئولية للفرد والمجتمع في نظر الإسلام، وأما الأمل فهو باعث على العمل ودافع إلى الإعمار.

٢ـ إعلاء شأن الإنسان منذ الخلق الأول له:

وقد تجلى هذا التكريم وإعلاء الشأن في خلق الأرض وتهيئتها

(١) الشورى: ٢٠.

(٢) المزمل: ١٩.

(٣) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، حديث رقم: ٢٠٠٧.

على خير ما تكون التهيئة لسكنى الإنسان، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴾[1].

كما أعلم الملائكة بهذا المخلوق الجديد، وأضفي عليه صفة الخلافة، وهي صفة لم تعط لغير الإنسان، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾[2]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[3].

كما لم يرد في القرآن الكريم سجود الملائكة لغير الله سبحانه وتعالى ومن أمرهم الله بالسجود له، وقد يكون الأمر بالسجود لآدم سجود تحية وتقدير على ما عرفه العرب من لغتهم وما ألفوه من سلوكهم، وبه ورد النص في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا﴾[4]، غير أن العبرة بالأمر

---

(١) فصلت: ١٠.

(٢) الحديد: ٧.

(٣) الأنعام: ١٥٦.

(٤) يوسف: ١٠٠.

الإلهي ودلالته على تكريم الإنسان.

٣ـ خلق الأشياء لأجل الإنسان وخلقه للعبادة:

ونصوص القرآن في هذا الصدد كثيرة، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[١]، وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[٢]، وقال (عز وجل): ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[٣]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٤]، وآيات التسخير قد

---

(١) البقرة: ٢٩.

(٢) الجاثية: ١٣.

(٣) إبراهيم، الآيتان: ٣٢، ٣٣.

(٤) النحل: ١٤.

تناولت البر والبحر والجو بكل ما في هذه الأقسام من مفردات، مع التصريح بأن التسخير للإنسان وليس للمسلمين وحدهم، وفيه لفت نظر المسلمين إلى التماس أسباب الرقي في هذه الحياة، والأخذ بالأسباب.

٤ـ إكرام جسد الإنسان حال حياته وبعد مماته:

فكل الكائنات الحية لا تخضع لما يخضع له الإنسان من إكرام، بل منها ما يذبح ويؤكل، ومنها ما يلقى في الخلاء والعراء، وأما الإنسان فجسده محل احترام وتقدير حال الحياة وبعد المات، فلا يجوز التمثيل به ولا القتل صبرًا ولا كسر جزء منه ولا التشهير بالجسد، بل دفنه فرض كفاية في الإسلام وإن كان الميت على غير الإسلام حتى لا تأكله السباع أو تنهشه الذئاب، ويتلطف في مواراة جسده التراب، فلا عنف ولا حدة ولا قسوة، حتى لا يصاب الجسد بأذي.

٥ـ إسقاط معتقدات الجاهلية:

صرح الإسلام باتحاد البشرية في المنشأ، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1]، وقال سبحانه

---

(١) الأعراف: ١٨٩.

وتعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾[1]، وفي الحديث:" النَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ"[2]، كما صرح الإسلام باستواء الرجل مع المرأة في التكاليف الشرعية، وجعل تأديبها وتعليمها وكفالتها من موجبات الجنة، وجعل لها حقًّا في الإرث والنفقة، واختيار الزوج، والتصرفات المالية، وفسخ الحياة الزوجية إذا تعذرت العشرة من وجهة نظرها، على أن تتحمل ثمن الفسخ بتعويض الرجل عن الضرر الذي قد يلحقه، كما أنه يعوضها عن الضرر الذي قد يلحقها، وفي الحديث: " أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"[3].

من جوانب الاهتمام بالإنسان:

اهتمت الشريعة الإسلامية برعاية الإنسان بصورة لم تعرفها البشرية في الماضي والحاضر، ويمكن بيان هذا الاهتمام في الجوانب الآتية:

---

(١) الزمر: ٦.

(٢) مسند أحمد، حديث رقم: ٨٧٣٦.

(٣) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٣٤٨٩.

- الاهتمام بالإنسان قبل وجوده: حثت الشريعة الإسلامية على حسن اختيار الزوج قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1]، وفي الحديث:" وَلَأَمَةٌ خَرْمَاءُ سَوْدَاءُ ذَاتُ دِينٍ أَفْضَلُ"[2]، "فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ"[3]،"مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى الله خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ"[4].

وكما حث الإسلام الرجال على اختيار الزوجة الصالحة باعتبار أن المرأة تربة الإنبات، فلم يهمل النصيحة إلى ولي أمر المرأة وإلى المرأة نفسها في التركيز على الرجل الصالح، وفي الحديث:" إِذَا

---

(١) النور: ٣٢.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب تزويج ذات الدين، حديث رقم: ١٨٥٩.

(٣) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث رقم: ٥٠٩٠.

(٤) سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، باب أفضل النساء، حديث رقم: ١٨٥٧.

جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ"[1].

الاهتمام بالإنسان بعد وفاته: المتوفى في ديار الإسلام إما أن يكون مسلمًا أو غير مسلم، إن كان مسلمًا وجب له على المسلمين غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه وجوبًا كفائيًّا، ويكون عينيًّا إذا لم يحضر المتوفى إلا فرد أو عدد محدد، كما يجب سداد الدين عنه ويتحمل ذلك ورثته أخذًا بقاعدة الغُرم بالغُنم، وذكره بكل خير وحرمة ذكره بسوء، وفي الحديث:"اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ، وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِمْ"[2].

وإذا كان الميت على غير الإسلام فإن أهله يتولون أمره بحسب طقوسهم في إطار الحرية الدينية التي كفلها الإسلام لهم، فإن لم يوجد من أهله من يقوم بذلك وجب على المسلمين دفنه مع ستر جسده.

---

(١) سنن الترمذي، أبواب النكاح، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه، حديث رقم: ١٠٨٥.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في النهي عن سب الموتى، حديث رقم: ٤٩٠٠.

- الاهتمام بالإنسان في مراحل حياته المختلفة: نظرة الإسلام إلى الإنسان تقوم على أساس تقديره من اللحظات الأولى لتكوينه حتى ملاقاته لربه، ففي حال كونه جنينًا صرح الإسلام بحرمة الجنين وحرمة قتله واحترامه ما دامت فيه الحياة، وجعل في قتله عوضًا، وفي حال الميلاد لم يفرق الإسلام بين الذكر والأنثى خلافًا لما كان في الجاهلية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1]، وقد حرم الله (عز وجل) ذلك صراحة في آيات عدة منها قوله (عز وجل): ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[2].

وقد حمَّل الإسلام الرجل مسئوليته الاجتماعية تجاه ولده،

---

(١) النحل، الآيتان: ٥٨، ٥٩.

(٢) الأنعام: ١٥١.

وحمَّل المرأة مسئوليتها الأدبية والاجتماعية تجاه ولدها، يجمع ذلك قول الحق سبحانه: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ﴾[1]، كما أوجب الإسلام العدل بين الأولاد في المعاملة الحسنة، وفي الحديث: " وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ» "[2].

ولم يكن اهتمام الإسلام بالإنسان قاصرًا على مرحلة الطفولة، بل أشار الإسلام إلى المراحل السنية المختلفة للإنسان وما يتعلق بكل مرحلة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗ﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ

---

(١) البقرة: ٢٣٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب الإشهاد في الهبة، حديث رقم: ٢٥٨٧.

(٣) الروم: ٥٤.

عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾[1].

- الاهتمام بالإنسان جسدًا وروحًا: الإنسان مكون من شق مادي محسوس هو الجسد، وسر خفي به حياة الجسد هو الروح، قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾[2]، وقد حرص الإسلام على تحقيق التوازن بين الجسد والروح كما حرص على عدم خروج الإنسان عن إنسانيته إلى الملائكية أو البهيمية، وبيان ذلك فيما يلي:

١-وجوب تناول الطعام والشراب لتغذية الجسد وتنميته، قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾[3]، وقال سبحانه وتعالى:

---

(١) الحج: ٥.

(٢) الحجر: ٢٩.

(٣) الأعراف: ٣١.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ﴾[1]، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :" كُلْ مَا شِئْتَ ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ "[2]، كما يحرم تناول كل ما يؤذي الجسد إلا للضرورة، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَـٰٓئِثَ﴾[3]، وقال (عز وجل): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَـٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَـٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[4]، وقد ورد في السنة النبوية تحريم كل مسكر ومفتر ، ففي الحديث : " مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ

---

(١) البقرة: ١٧٢.

(٢) المجالسة وجواهر العلم، أبو بكر الدينوري، حديث رقم: ١٦٠١، ٤/ ٤٠٦. وأصله عند والبخاري ولفظه: " وَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: " كُلْ مَا شِئْتَ، وَالبَسْ مَا شِئْتَ ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَانِ: سَرَفٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ "كتاب اللباس، باب منه.

(٣) الأعراف: ١٥٧.

(٤) المائدة: ٩٠.

فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ "[1]، " «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ"[2].

٢- أوجب الإسلام العمل بقاعدة الوقاية خير من العلاج، وهو أوضح ما يكون في نهي الرسول ﷺ عن النزول في مواطن العدوى أو الخروج منها بعد حلول المرض المعدي بها، كما ورد بحق الطاعون: " إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ"[3]، وعملًا بقاعدة الوقاية خير من العلاج أوجب الإسلام النظافة، ومن سلامة الجسد في الإسلام بناء على نظافته: تقليم الأظافر، ونتف الأبط، وأخذ العانة، وترجيل الشعر وتسريحه، ولبس الثياب الحسن، وتخليل الأصابع، وإظهار الإنسان نفسه في أفضل مظهر، فعندما دخل رجل على الرسول ﷺ ثائر الرأس رث الثياب أنكر عليه الرسول ذلك،

---

(١) سنن أبي داود، كتاب الأشربة، باب النهي عن المسكر، حديث رقم: ٣٦٨١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر، حديث رقم: ٢٠٠٣.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، حديث رقم: ٥٧٢٩.

وقال: " أَمَّا يَجِدُ هَذَا مَا يُنَقِّي بِهِ ثِيَابَهُ؟"[1].

٣- أوجب الإسلام التداوي، وفي السنة الكثير من الأحاديث التي تدعو إلى ذلك، ورسول الله ﷺ كان يمارس التطبيب لنفسه، وأحيانًا يطبه غيره، وفي السنة: "إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً"[2]، وفي حديث آخر:"تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ"[3].

٤- النهي عن الغلو والإفراط في العبادة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[4]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[5]، وقال (عز وجل): ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾[6]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

---

(١) المستدرك للحاكم، كتاب اللباس، حديث رقم: ٧٣٨٠.

(٢) مسند أحمد، حديث رقم: ٤٢٣٦.

(٣) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الرجل يتداوى، حديث رقم: ٣٨٥٥.

(٤) البقرة: ٢٨٦.

(٥) الطلاق: ٧.

(٦) التغابن: ١٦.

ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾[2]، والتكاليف الشرعية تحرص على سلامة الجسد لا هلاكه، وفي الحديث: " أَلَا هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ"[3]، " إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ، فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ"[4] ، " إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ"[5]، " فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لَا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى"[6].

٥- تحقيق السعادة لروح الإنسان، وذلك يكون من طرق شتى ، ومنها:

---

(١) البقرة: ١٩٥.

(٢) النساء: ٢٩.

(٣) مسند أحمد، حديث رقم: ٣٦٥٥.

(٤) مسند أحمد، حديث رقم: ١٣٠٥٢.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، حديث رقم: ٣٩.

(٦) السنن الكبرى للبيهقي، جماع أبواب صلاة التطوع، باب القصد في العبادة، حديث رقم: ٤٧٤٣.

العبادات المفروضة : وكان الرسول ﷺ كلما اشتدت به الشدائد فزع إلى ربه، عملًا بقوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[1]، وكان ينادي على بلال قائلًا له: "يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها"[2].

الذكر: وأفضله تلاوة القرآن، وفي الحديث: " «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا الله"[3]، " أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِي قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ"[4]، وقد ورد الأمر بذكر الله كثيرًا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾[5]، وقال (عز وجل): ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ

(١) البقرة: ٤٥ .

(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، حديث رقم: ٤٩٨٥ .

(٣) سنن الترمذي، أبواب الأدب، باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة، حديث رقم: ٣٣٨٣.

(٤) شعب الإيمان للبيهقي، تعظيم القرآن، فصل في إدمان تلاوة القرآن، حديث رقم: ١٨٦٥.

(٥) آل عمران: ١٩١ .

﴿فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٢٠٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾[3].

التأمل والتفكر: وما أكثره وأيسره في الكون بل في الإنسان نفسه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾[4]، وقد كثر الأمر بالنظر في الكون لإدراك الجمال والكمال فيه ؛ بل الكون كله محل نظر وتأمل، ومن خاض في أسرار الكون تحقق لروحه قدر من الشبع لا يتحقق للمعرضين، قال تعالى: ﴿قُلِ

---

(١) الطور: ٤٨، ٤٩.

(٢) الإسراء: ١١٠.

(٣) الأعراف: ٢٠٥، ٢٠٦.

(٤) الانفطار: ٦ : ٨.

﴿ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾[2].

فعل الخير: وهو شعور ينتاب من فطر عليه ، وفي الحديث : " وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[3]، " الخَلْقُ عِيَالُ الله، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى الله أَنْفَعُهُمْ لعياله"[4].

الاهتمام بالإنسان من حيث غرائزه وعواطفه: الإنسان صنعة الله تعالى ، وقد ركب الله فيه غرائز شتى، ولم يشأ الحق أن يحرم الإنسان

(١) يونس: ١٠١.

(٢) الروم: ٨.

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه، حديث رقم: ٢٤٤٢، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨٠. واللفظ لمسلم.

(٤) مسند البزار، حديث رقم: ٦٩٤٧.

من إشباع هذه الغرائز ولكنه جعل للإشباع آدابًا وحدودًا، فلم يأذن بالإفراط أو التفريط، ومما اهتم به الإسلام من غرائز تتعلق بالإنسان ما يلي:

غريزة حب السلامة والبقاء: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾[2].

غريزة التملك: وهي من أقوى الغرائز في الإنسان، وقد هذب الإسلام هذه الغريزة ، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ

---

(١) النساء: ٢٩.

(٢) النساء: ٩٣.

(٣) آل عمران: ١٤.

﴿ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾[1]، وبين الحق تبارك وتعالى منزلة حب المال فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾[2]، وقال (عز وجل): ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ لَشَدِيدٌ﴾[3]، كما صرح بأن المال وسيلة وليس غاية، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا﴾[4]؛ ولذلك أذن الإسلام بالتملك من الطرق المشروعة (العمل- الإرث – الهبة)، وأوجب الإنفاق في الطرق المشروعة (على النفس، ومن تلزمه نفقته، والزكاة، والصدقة)، وحرم الإسراف فيما يملك الإنسان ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[5]، ونهى عن التبذير

---

(١) الكهف: ٤٦.

(٢) الفجر: ٢٠.

(٣) العاديات: ٦ – ٨.

(٤) النساء: ٥.

(٥) الأعراف: ٣١.

قال (عز وجل): ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[1]،ومن عجز عن الكسب فقد أوجب الإسلام له تملكًا بالطرق المشروعة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝٢٤ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[2].

غريزة الوالدية : وقد حرص الإسلام على إشباعها بالطرق المشروعة، وجعل السبيل لذلك الزواج الشرعي، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾[3]، وقال (عز وجل): ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[4]، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

(١) الإسراء: ٢٧.

(٢) المعارج: ٢٤، ٢٥.

(٣) النحل: ٧٢.

(٤) الروم: ٢١.

مَلُومِينَ﴾[1].

الذاتية (غريزة الأنا): فما من إنسان إلا وهو يشعر أنه شيء ما، بل يشعر أنه كل شيء في بعض الأحيان ، والإسلام لا يذيب الفرد من أجل المجتمع، ولا يضيع المجتمع من أجل مصلحة الفرد، وإنما يحرص على استقرار واستقلال الفرد ابتداء باعتباره اللبنة التي يتكون منها المجتمع، فإذا صلحت هذه اللبنة صلح البناء وخلا من الخلل والخواء، والمسئولية الفردية تؤكد الذاتية، قال سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[2]، وقال (عز وجل): ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾[4].

---

(١) المؤمنون: ٥، ٦.

(٢) المدثر: ٣٨.

(٣) فصلت: ٤٦.

(٤) آل عمران: ١٩٥.

وفي إطار التأكيد على الذاتية كان التكليف بعد البلوغ ، وإسقاط التكليف عن كل عاجز أو نائم أو صغير، وفي الحديث: "رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ"[1]، وفي مواطن الرأي ، ففي الحديث:"لَا تَكُونُوا إِمَّعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا، وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ، إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلَا تَظْلِمُوا"[2].

غريزة الحب : وهي من الغرائز الموجودة في الإنسان ، وقد راعى الإسلام هذه الغريزة فجعل أعلاها مرتبة ومنزلة حب الله (عز وجل) ثم حب الرسول ﷺ ، ثم حب ذوي القربى ، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لله﴾[3]، وقال (عز وجل):

(١) سنن أبي داود ، كتاب الحدود ، باب في المجنون يسرق أو يصيب حدًّا ، حديث رقم: ٤٤٠٣.

(٢) سنن الترمذي ، أبواب البر والصلة ، باب ما جاء في الإحسان والعفو ، حديث رقم: ٢٠٠٧.

(٣) البقرة: ١٦٥.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[1]، وقد بين الرسول ﷺ أن حب الله ورسوله يكسب الإنسان تذوقه لطعم الإيمان، قال ﷺ: " ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لله ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ "[2]، ومن السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله " وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ "[3].

كما أذن الإسلام بإشباع غريزة الحب بين الزوجين ، والآباء

---

(١) المائدة : ٥٤.

(٢) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، حديث رقم: ١٦، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، حديث رقم: ٤٣. واللفظ للبخاري.

(٣) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب الآذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، حديث رقم: ٦٦٠، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، حديث رقم: ١٠٣١. والفظ للبخاري.

والأبناء، وسمح بحب المال دون الافتتان به ، ورغب في الجنة وحبب فيها وتحدث عنها بما يشوق كل عاقل إلى سكناها، وبهذا يكون الإسلام قد أعلى شأن هذه الغريزة، ولم يأذن بإساءة استخدامها.

- الاهتمام بالإنسان مفكرًا: فالتفكير هو أساس الرقي الحضارى ، وقد حرص الإسلام على الاهتمام بالإنسان ككائن مفكر وسلك في ذلك سبلًا عدة، منها:

١- إعلاء منزلة التفكير في الإسلام، والدعوة إلى ذلك، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[1].

٢- الحث على العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، وفي الحديث: " طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ"[2]، وكتب

---

(١) فصلت: ٥٣.

(٢) سنن ابن ماجه ، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، حديث رقم: ٢٢٤.

السنة قد عقدت أبوابًا خاصة لبيان فضل العلم وفضل أهله.

٣- تحريم الإسلام كل شيء يضر بآلة التفكير (العقل) كالمسكرات والخمور والمفترات، قلَّ المشروب أو كثر.

٤- صرح الإسلام بالفرق الكبير بين المتعلم والجاهل، ونفى التسوية بينهما في الدنيا والآخرة، والعقل والشرع، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1]، وقد أعطى الرسول ﷺ (شهادات تقدير) لكل نابه أو نابغ في المعرفة، وهي شهادات لا تمحي بمضى الزمن، ففي الحديث: "وَأَقْرَأُ أُمَّتِي أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ وَأَفْرَضُهَا زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ"[2].

٥- حرر الإسلام الفكر من كافة المؤثرات الخارجية مثل الهوى والظن وموروثات الآباء، والآيات في ذلك كثيرة؛ لأن مثل هذه المؤثرات تصرف العقل عن النتيجة الصحيحة.

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) المعجم الصغير للطبراني، حديث رقم: ٥٥٦.

وختامًا .. فإن وحي الله (عز وجل) إلى الإنسان ومن أجل الإنسان، ومناط تحقيقه وتطبيقه بالإنسان، وغاية الشريعة الإسلامية سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة والسمو بالإنسان إلى أسمى درجات الرقي، والنأي به عن الانحدار أو الانحطاط ، وقد راعت الشريعة الطبع التكويني للإنسان وهي تخاطبه.

* * *

حقوق الإنسان في الإسلام (*)

عندما نتحدث عن حقوق الإنسان وحرياته في الإسلام نتحدث عن بُعدين متلازمين، بُعد فكري ثقافي يتمثل في مبادئ تجد مرجعيتها الموضوعية والتاريخية في نصوص دينية مقدسة، تفرض التزامًا دينيًّا وأخلاقيًّا وقيميًّا، والبعد الآخر بُعد حقوقي وتشريعي يتمثل في صياغات قانونية تحدد طبيعتها ومجالاتها، ونطاق المسئولية عنها، وإلزام الأفراد والدولة باحترامها وتنفيذها، وضمانات وآليات لحمايتها .

إن مبادئ الإسلام وتشريعاته تقدم نصوصًا تتفق مع ما توصل إليه الإنسان بعد صراعه الطويل وسعيه لإقرار حقوقه وحرياته ، وذلك من خلال عهود ومواثيق لا تزال تتعزز وتترسخ، وقد سبق الإسلام إلى تقريرها قبل غيره من النظم، وذلك منذ حوالي خمسة عشر قرنًا، ونحن مطالبون بأمرين:

(*) الإعلامي الأستاذ / أحمد فراج (رحمه الله) ، مصر .

الأول: إزالة ما علق بالإسلام من تشويه؛ بعضه ناشئ عن الجهل بالإسلام، وبعضه يقوم به مبطلون ومغالون ومتنطعون منتسبون إلى الإسلام.

الثاني: بيان حقيقة الموقف الإسلامي من حقوق الإنسان وحرياته.

ومما لا شك فيه أن تفاعل الحضارات بمعطياتها الثقافية المتميزة سوف يساعد على إثراء مرتكزات قضية حقوق الإنسان التي تستند إلى خلفيات تاريخية لشعوب متعددة، وعطاءات ظروف وأفكار وعقائد مختلفة، يضاف بعضها إلى بعض في سبيكة قوية متماسكة؛ حيث إن جحد كفاح الشعوب وإنكار دورها في تقرير حقوق الإنسان يستوي مع إنكار أثر الإسلام في إقرارها وترسيخها، بل السبق إليها، كلاهما الجحود والإنكار، يؤجج خلافًا لا مبرر له، ويضيع جهدًا نحتاج إليه لترسيخ حقوق الإنسان، ودعم حرياته، ومواجهة تيارات العنف وقوى الإرهاب في كل مكان؛ لأننا نؤمن كما قال رسول الإسلام ﷺ: "الْخَلْقُ كُلُّهُمْ

عِيَالُ الله، فَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَى الله أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ"(١)، ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة، ولكن جعلنا شعوبًا وقبائل للتعارف والتعاون لا للتباغض والتصارع، حيث قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾(٢).

إن قضية حقوق الإنسان لابد فيها من ارتباط الحقوق بالواجبات، والحديث عنهما معًا، فهناك مَن يريد الحرية والحقوق لنفسه ولا يهتم بما يصيب الآخرين وحقوقهم، ويضخم ما يمس حرياته وحقوقه، ويتلذذ بما يصيب مخالفيه متصنعًا الشفقة عليهم، فمن الواجب إيقاظ شعوره بالمسئولية.

والحرية هنا هي الحق الذي نعنيه ، وهي قيمة أساسية؛ فهي في المفهوم الإسلامي أساس صحة الإسلام وأساس المجتمع والدولة والحضارة، كما أنها ليست مجرد إباحة أو حق، ولكنها واجب وجهاد موصول للنفس ولقوى الشر – أيًّا كان مصدرها – لإعـلاء

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم: ٧٠٤٦.

(٢) الحجرات: ١٣.

كلمة الحق والعدل والحرية بالتعاون مع الآخر .

ولما كانت الحقوق جزءًا لا يتجزأ من الشريعة الإسلامية ومقاصدها، وثمرة للعقائد والشعائر اكتسبت صفة الواجب وصفة الدوام؛ فيثاب المرء على فعلها، ويعاقب على تركها، ومن حقوق الإنسان الأساسية حرية الاعتقاد وما يترتب عليها من حرية التعبير والمناقشة، وممارسة العبادات والحرية الفكرية.

إن سبق الإسلام إلى تقرير حقوق الإنسان وحرياته المقررة في مصادر الشريعة الأصلية في الكتاب والسنة لا يحتاج إلى دليل، فنحن نتحدث عن قرابة خمسة عشر قرنًا على إرساء تلك الحقوق، ولا يجد أي باحث أي مشقة في إثبات ذلك .

إن مصادر التشريع لحقوق الإنسان وحرياته في الإسلام أساسها القرآن والسنة، ثم سائر المصادر المعتمدة التي يهمنا أن نشير من بينها إلى الاجتهاد، وإذا كان معروفًا أنه لا اجتهاد مع نص، فإن القضايا والمسائل التي جاء فيها الإسلام بمبدأ عام وقاعدة إجمالية هي موضوع للاجتهاد الموصول إلى يوم القيامة،

ومجيء قاعدة كلية أو مبدأ عام في قضية من القضايا أو مسألة من المسائل التي تتغير بتغير الزمان أو المكان هو إذنٌ بالاجتهاد، بل هو بالأحرى أمرٌ بالاجتهاد بالرأي في إطار المبدأ العام أو القاعدة الكلية لتحقيق المصالح والمقاصد ، ولهذا تبقى شريعة الله صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان.

حقوق الإنسان في الإسلام :

إن الإنسان – أيّ إنسان مسلمًا كان أو غير مسلم – محترم في نظر الإسلام ومكرَّم بتكريم الله له ، بغض النظر عن جنسه أو لونه أو دينه ، وعناصر الاحترام التي جاء بها الإسلام وكفلها للإنسان كثيرة، تتمثل فيما قرره له من حقوق سبق بها كل ما سواه من نظم وتشريعات ؛ فالإنسان مخلوق مكرَّم ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

---

(١) الإسراء: ٧٠.

وتأكيدًا لوحدة الجنس قال رسول الله ﷺ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"[1]، مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[2].

إن مبادئ الإسلام تشمل المساواة بين الأرواح الإنسانية أمام الله، وتقرر أواصر الأخوة والتعاون الإنساني والوحدة بغض النظر إلى العنصر أو اللون، كما تقرر فريضة الدفاع عن الضعيف وحمايته ممن يجورون عليه ، وإغاثة المعوزين والمحرومين ، فالإسلام بهذا لا يقر العنصرية ولا التفرقة بين البشر بسبب الجنس أو العنصر أو العرق أو اللون أو أية فوارق ، ولنتأمل قول نبي الإسلام ﷺ : "لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ،

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٣٤٨٩.

(٢) الحجرات: ١٣.

وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ"[1]، ولم يكن غريبًا أن يعلن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا[2]، لتأتي عبارته بما يشبه النص بعد نحو أربعة عشر قرنًا ضمن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ديسمبر ١٩٤٨م.

فتكريم الإنسان ووحدة الجنس البشري أصلان يشترك فيهما كل الناس ، وأقرهما الإسلام ، وفيهما قمة الاعتراف بالآخر، ومن مظاهر رعاية الإسلام لحقوق الإنسان أمور أخرى كثيرة ، من أبرزها :

الاعتراف بالديانات السماوية:

امتاز الإسلام باعترافه من حيث المبدأ بالديانات السماوية، بل وتأكيد وحدتها في الأصول والأركان العامة، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا

(١) سنن أبي داود ، كتاب الآداب ، باب العصبية، حديث رقم: ٥١٢١.

(٢) فتوح مصر والمغرب لابن عبد الحكم ، ط: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ، ص١٩٥.

وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[1]، ويقول رسول الإسلام ﷺ: " إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ؟ قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ"[2].

ويشمل الاعتراف بالديانات السابقة الاعتراف بالرسل السابقين على النبي الخاتم محمد ﷺ، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾[3].

حرية الاعتقاد في الإسلام:

القاعدة الإسلامية أن حرية الاعتقاد مكفولة، ولكل شخص أن يعتقد ما يشاء، يقول تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ﷺ، حديث رقم: ٣٥٣٥.

(٣) البقرة : ٢٨٥.

فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[1]، غير أنه في هذه الحالة يحتفظ المرء بحريته الشخصية في الاعتقاد، ولكن ليس من حقه الترويج للكفر لأنه يخالف النظام العام.

حقوق غير المسلمين في المجتمع والدولة الإسلامية :

الإسلام أمر بالعدل مع غير المسلمين الذين لم يقاتلوا المسلمين ولم يخرجوهم من ديارهم، بل تجاوز ذلك إلى ترغيب المسلمين في برهم والإحسان إليهم ، والبر فوق العدل ، وهي الكلمة التي يعبر بها الإسلام عن أوجب الحقوق البشرية على المسلم وهي بر الوالدين .

والإسلام ينظر نظرة خاصة لأهل الكتاب، سواء أكانوا في البلاد الإسلامية أم خارجها، فالقرآن يناديهم، بـ (يا أهل الكتاب) أي أنهم في الأصل أهل رسالة سماوية ، فبينهم وبين المسلمين رحم وقربى، وتتمثل في أصول الدين الواحد الذي بعث الله به أنبياءه جميعًا، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ

(١) الكهف: ٢٩.

أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[2].

وإذا كان التقدير يشمل أهل الكتاب حيثما كانوا، إلا أن الموجودين في ظل دولة الإسلام لهم وضع أكثر خصوصية، وكانوا يسمون في الاصطلاح الإسلامي أهل الذمة، والذمة معناها العهد، أي أنهم مواطنون آمنون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، إلا ما هو من أمور الدين والعقيدة فإن الإسلام يعطيهم الحق الكامل في تركهم وما يؤمنون به، وهناك نصوص كثيرة ومهمة شدَّد النبي ﷺ فيها على الوصية بهم، والوفاء بعهدهم، وتوعد كل مخالف لهذه التعاليم بسخط الله وعذابه.

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) البقرة: ١٣٦.

والتاريخ الإسلامي حافل بما جرى عليه عمل خلفاء الرسول ﷺ من رعاية هذه الحقوق والحرمات للمواطنين غير المسلمين ، وقد أكد فقهاء الإسـلام على اختلاف مذاهبهم هذه الحقوق والواجبات ، واكتفى بنص الفقيه القرافي: إن عقد الذمة يوجب علينا حقوقًا؛ لأنهم إلى جوارنا وفي حمايتنا وذمتنا، وذمة الله تعالى، وذمة رسوله ، وذمة دين الإسلام ، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم ، أو نوع من أنواع الأذية أو أعان على ذلك ؛ فقد ضيع ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ وذمة دين الإسلام[1].

إن الإسلام قد قرر حقوقًا فردية وجماعية، وكفلها، وضمنها، وحماها، وبدون تمييز بين البشر لأي سبب كان ، من خلال أحكام الشريعة الإسلامية التي تقوم على تحقيق مصالح العباد ، وهي مصالح لا تمليها الأهواء ، وهذه الحقوق المؤسسة على مثل هذه المبادئ وعلى القيم النبيلة ، هي حجر الزاوية في سعادة الإنسان وسعادة الأسرة البشرية، وفي التقدم الوطني، والرخاء الدولي،

---

(١) الفروق للقرافي ، ٣/ ١٤، ط عالم الكتب .

والسلام العالمي، وكما قرر الإسلام هذه الحقوق للإنسان وضع الأصول والقواعد الفقهية والتشريعية الكفيلة بتحقيق الضمان اللازم لتنفيذها والالتزام بها.

إن حقوق الإنسان لا يمكن أن تكون حقوق أولئك الذين يولدون في دول معينة، أو من لون وعقيدة وجنس معين، ولا يمكن أن تكون حقوق الأقوياء فيحرم منها الضعفاء، إنني أتذكر الآن ما قاله الرسول ﷺ في آخر خطبة له: ": " إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا.." [1]، وقوله ﷺ:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"[2].

* * *

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع، حديث رقم: ٦٧، وصحيح مسلم، كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء، حديث رقم: ١٦٧٩ .واللفظ لمسلم .

(٢) مسند أحمد ، حديث رقم: ٢٣٤٨٩ .

المساواة في الإسلام (*)

الإسلام هو الدين الذي بعث الله سبحانه وتعالى به جميع الرسل والأنبياء، يقول الله (عز وجل): ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[١]، ويقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾[٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣]، وعندما حضر سيدنا يعقوب (عليه السلام) الموت سأل أبناءه ماذا تعبدون من بعدي، فقالوا كما جاء في القرآن الكريم: ﴿قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ

(*) سماحة الشيخ / إبراهيم صالح الحسيني ، رئيس المجلس الإسلامي النيجيري ومفتي نيجيريا .

(١) المائدة: ٣.

(٢) آل عمران: ١٩.

(٣) آل عمران: ٨٥.

وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1]، وسيدنا نوح (عليه السلام) مع قومه يقول كما جاء في القرآن الكريم: ﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[2]، ويقـول الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[4]، فالكل مرسلٌ من لدن إله واحدٍ، برسالة واحدة، وهي عبادة الله وحده لا شريك له .

والإسلام بهذا المعنى جاء بقواعد ومبادئ أساسية ثابتة لا تتغير بتغير الزمان أو المكان، بل هي باقية وصالحة على مر الأيام

---

(١) البقرة: ١٣٣ .

(٢) يونس: ٧٢.

(٣) الشورى: ١٣ .

(٤) البقرة: ١٣٦ .

والشهور وتعاقب الأعوام والدهور، ومن هذه القواعد والمبادئ حق الإنسان في المساواة وما يتفرع عن ذلك من حقوق أخرى.

مبدأ المساواة:

اختار الله تعالى للإنسانية رسالة الإسلام دينًا خاتمًا وفضله على جميع الرسالات ، وخلق الخلق فأنزل به كتبه وأرسل به رسله مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وجعله دينًا ميسرًا سهلًا سمحًا لا حرج فيه ولا مشقة، لم يوجب على معتنقيه ما لا يستطيعون، ولم يكلفهم ما لا يطيقون، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[1]، وقال (عز وجل): ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2].

وقد أعلن الإسلام في بيان واضح أن الناس سواسية أمام الله، وأن جميع البشر المنتشرين في أنحاء قارات العالم أسرة واحدة انبثقت من أصل واحد، وأنه لا اعتبار باختلافهم في اللون، أو الجنس، أو

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) الحج: ٧٨.

اللغة، وإنما جعل أساس التفاضل والامتياز بينهم شيئًا آخر هو التقوى والعمل الصالح، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1]، وقال (عز وجل): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾[4]، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال في خطبة الوداع: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا

---

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) النساء: ١.

(٣) الإسراء: ٧٠.

(٤) الروم: ٢٢.

إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى أَبَلَّغْتُ "، قَالُوا: بَلَّغَ رَسُولُ اللهِ"(١).

وقد ورد أن رسول الله ﷺ أمر بدفن جثث قتلى قريش في بدر مما يقف دليلًا على أن اختلاف الدين لا يسقط الاعتبار الإنساني، كذلك لون البشرة في نظر الإسلام ينبغي ألا أن يكون عاملًا من عوامل التفرقة بين الناس، فالنبي ﷺ غضب غضبًا شديدًا حينما اشتم رائحة التفرقة العنصرية في قول أبي ذر الغفاري لبلال – (رضي الله عنهما)–: يا بن السوداء، وقال له النبي ﷺ:" أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ"(٢)، فما كان من أبي ذر إلا أن قام ووضع خده على الأرض طالبًا من الرجل أن يطأ خده، وقد روي أيضًا أنه لما سرقت فاطمة بنت الأسود المخزومية جاء أسامة بن زيد ﷺ يشفع لها، فأنكر الرسول ﷺ على أسامة شفاعته لها، وقال

---

(١) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٣٤٨٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث رقم: ٣٠.

للناس حوله: "إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"[1].

وإذا تقرر لدينا مبدأ الوحدة البشرية والمساواة بين الناس عمومًا في الدين الإسلامي، فإن الإسلام ذهب إلى أبعد من ذلك ، فلم يفرق بين المسلم والذمي في المعاملات العامة لأن الجميع سواسية أمام القانون، لا تفضيل ولا محاباة حتى وإن كان أحد الخصمين مسلمًا رفيع المكانة والآخر غير مسلم، فقد روي أن يهوديًّا شكا عليًّا ﷺ للخليفة عمر ﷺ فقال عمر لعلي: قم يا أبا الحسن فاجلس بجوار خصمك، ففعل علي وعلى وجهه علامة التأثر، فلما فصل عمر في القضية قال لعلي: أكرهت يا علي أن تساوي خصمك؟ قال: لا، لكني تألمت لأنك ناديتني بكنيتي، فلم تسو بيننا -ومعلوم أن الكنية للتعظيم- فخشيت أن يظن اليهودي أن

(١) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، حديث رقم: ٣٤٧٥.

العدل ضاع بين المسلمين[1].

وقد سوَّى الإسلام بين المسلم والذمي في القصاص، والديات، والضمان، والتعازير، كما أباح في الأحوال الشخصية للذمي كل زواج أو طلاق يقره دينه ما لم يحتكموا إلى الإسلام، كما سوَّى الإسلام في الحرمان من الميراث بين الذمي والمسلم، فلا يرث المسلم قـريبـه الذمي، ولا يرث الذمي قريبه المسلم، ولا يرث الزوج المسلم زوجته الكتابية وكذلك لا ترثه، إلى غير ذلك من الأحكام الفقهية المتعددة التي ساوى فيها الإسلام بين المسلم والذمي الواردة في كتب الفقه الإسلامي.

تقرير حقوق الإنسان في الإسلام:

لقد أرسى الإسلام دعائم حقوق الإنسان منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان ، ورسخ لهذه الحقوق واستوعبها جميعًا بشكل متميز ، يقول تعالى : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾[2] ، لذا نجد في هذه الحقوق ما قد يغفل عنه بعض الناس،

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، لأبي جرادة العقيلي، ٤/ ١٧١٠ (بتصرف).

(٢) الملك: ١٤.

ومن ذلك ما يلي:

- حق ضعاف العقول في الرعاية، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[1].

- حقوق اليتامى والمحافظة عليها، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]، وقال (عز وجل): ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾[3].

- حق الدفاع عن النفس عند تعرض الإنسان لخطر محقق، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[4].

---

(١) النساء: ٥.

(٢) البقرة: ٢٢٠.

(٣) النساء: ٢.

(٤) النحل: ٨١.

- حق الإنسان المخطئ في تسامح من أخطأ في حقهم، وعفوهم عن الخطأ تشجيعًا له على تجنب تكرار الوقوع في الخطأ، وكذلك دعا الإسلام إلى تسامح الإنسان مع ضعفاء الأحلام من الناس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقال (عز وجل): ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾[3]، وقال في آية أخرى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[4].

(١) الأنعام: ٥٤.
(٢) الأعراف: ١٩٩.
(٣) النحل: ١٢٦.
(٤) فصلت: ٣٤، ٣٥.

وختامًا .. فإن حقوق الإنسان في الإسلام ومنها حقه في المساواة وما يتفرع عنها من حقوق تعتبر واجبات مقدسة ، وما الإنسان إلا مستخلف فيها، وهذا يعد دليلًا من الأدلة على اهتمام الإسلام بالإنسانية جمعاء.

* * *

رفض ثقافة الكراهية والعنصرية (*)

ما بعث الله سبحانه وتعالى من نبي أو أنزل من كتاب أو شرع من دين إلا ليعلم الناس مبادئ الوحدة، والبر، والحب، والمساواة، والعدل، ويوطِّد الإيمان بالله (عز وجل) في نفوسهم، يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾[1].

وبما أن دعوة الأنبياء واحدة، وهي الإيمان بالله وعبادته، وبناء مجتمعات تتعاون فيما بينها على البر والتقوى والمحبة، وبما أن الكتب السماوية جميعًا دعوتها واحدة، لا يختلف كتاب عن كتاب في دعوته، يقول تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ

(*) أ.د/ ماهر أحمد الصوفي، الإمارات العربية المتحدة.

(1) الشورى: ١٣.

وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾[1]، فقد أراد الله سبحانه بعلمه أن يكون خاتم هذه الكتب السماوية القرآن الكريم ، وخاتم هذه الرسالات الإسلام، وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ؛ لتكون رسالة الإسلام هادية للناس تخرجهم من الظلمات إلى النور، وتبين صراط الله المستقيم، يقول تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[2].

ولقد أراد الله سبحانه بعلمه أن يعم هذا الدين البشرية جمعاء لما يحمل من خير ورحمة ونور وهدى لبني آدم جميعًا، يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ

---

(١) البقرة: ١٣٦.

(٢) المائدة، الآيات: ١٥- ١٦.

﴿ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[1]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[2]، وكانت آخر الآيات القرآنية نزولًا فيها رضا الله سبحانه وتعالى عن هذا الدين الذي أكمله بعلمه وقدرته واختاره لبني الإنسان على هذه الأرض ليكون له نعمة ورحمة، يقول تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾[3].

الإسلام دعوة أخلاقية:

كرَّم الله سبحانه وتعالى الإنسان على سائر خلقه، وأرسل له الرسل الكرام للارتقاء به إلى أعلى درجات الكمال خلقًا وإيمانًا، ولهذا يقول ﷺ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"[4]، فلا يمكن حفظ كرامة الإنسان أو مكارم الأخلاق في أي مجتمع إلا من خلال

---

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) الأنبياء: ١٠٧.

(٣) المائدة: ٣.

(٤) السنن الكبرى للبيهقي، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق، حديث رقم: ٢٠٧٨٢.

صحة وسلامة تربية الفرد على حسن التعامل، وحسن الخلق، واحترام الآخرين، ومن صور تربية الفرد في الإسلام كما جاء في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾[1]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾[2]، وكثيرة هي الآيات الكريمة في هذا الخصوص، التي توجه وترشد وتعلم وتربي الفرد على حسن الخلق وحسن الآداب التي يتحقق من خلالها المجتمع المثالي الذي يتسم بالحب والألفة والمودة .

إن من عظيم أمر الإسلام وحسن توجيهاته وتعليماته في تحقيـق

---

(١) الإسراء: ٣٧.

(٢) لقمان، الآيات: ١٧ – ١٩.

حق الفرد وحق المجتمع أنه لم يربِّ الفرد على الأخذ دون العطاء، وعلى الأنا والأثرة دون الإيثار، وعلى حب الذات دون حب الآخرين، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، فهذه الآية الكريمة تبدد كل فكر أو ثقافة تحمل في طياتها الكراهية للآخرين، أو حب الذات والانتماء لفئة معينة من الناس بعنصرية مقيتة.

ومن تجليات دعوة الإسلام الأخلاقية أن جعل رسول الله ﷺ للمسلم على المسلم حقًّا في خمسة أمور تمثل أعلى مراتب تحقيق الإيثار والبر والحب، قال رسول الله ﷺ: "حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلاَمِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإِجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ"[2]، وفي التوجيه النبوي للمسلمين يقول رسول الله ﷺ :" إِنَّ لِـرَبِّـكَ عَلَيْكَ حَقًّـا ، وَلِنَفْسِـكَ عَلَيْكَ حَقًّـا،

(١) الحشر: ٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز، حديث رقم: ١٢٤٠.

وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ"[1].

وكل هذه الآيات والأحاديث تشير إلى تقرير حق الآخرين، وتجسيد ثقافة المحبة والإخاء ودحض ثقافة الكراهية والعنصرية؛ معتبرة إنسانية الإنسان وكرامته فوق كل اعتبارات الحقد والكراهية والبغضاء؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو خالق جميع البشر وهو الذي صورهم كيف يشاء، وليس لأحدٍ يد في لونه وصورته ومكان ولادته، يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]، ويقول تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[3]، فالناس في الإسلام سواء؛ لذا فإن التعاون والمحبة في الإسلام ليست لطبقة دون طبقة، يقول رسول الله ﷺ: "لاَ يُؤْمِنُ

(١) صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر، حديث رقم: ١٩٦٨.

(٢) آل عمران: ٦.

(٣) الحجرات: ١٣.

أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"[1]، وحتى تكتمل صفات الحب في أرقى صورها رَهَن الله سبحانه وتعالى الجزاء والأجر الإلهي في أن يكون الإنفاق في الإسلام مما يحب، وليس من فضل ما يزيد من مال وحاجات، يقول تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[2].

فأي مجتمع في هذه الدنيا يتمتع بهذه الصفات الإنسانية التي أوجبها الله سبحانه وتعالى على المسلمين، فبهذه الصفات لا يعرف المجتمع للكراهية معنًى ، ولا للبغضاء بين أفراده سبيلًا ، ولا للعنصرية وجودًا ، ولا للتمييز طريقًا، فالإنسان في الإسلام إنسان له وجوده وحقوقه مهما صغر شأنه ، أوضعف حاله ، أو قل ماله ، أوعصفت به الأنواء.

الإسلام كفل رعاية المحتاجين:

حفل القرآن الكريم بآيات حثت على رعاية المحتاجين من الفقراء

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: ١٣.

(٢) آل عمران : ٩٢.

والمساكين حفاظًا على كرامتهم الإنسانية، وحقوقهم الواجبة لهم في النظم التشريعية في الإسلام، وهنا تتجلى بعض المعاني الحقيقية لحقوق الإنسان في الإسلام؛ حيث إن تلك الآيات الكريمة تحض على الإحسان بكل مرادفاته الإنسانية لتلك الطبقات الفقيرة والمحتاجة لينالوا حقهم في مفهوم الوجود والإنسانية، وليتحقق الحب وتمحق الكراهية بين أفراد المجتمع، يقول تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[1]، كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ

---

(١) النساء : ٣٦.

(٢) البقرة : ٢١٥.

﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾[1]، وتلاحظ من الآيات الكريمة تكرار ذكر اليتيم وابن السبيل وذلك لحاجتهما وضعفهما، ودرءًا لإهانتهما، وحفاظًا على إنسانيتهما.

رعاية الإسلام لحقوق سائر البشر:

الإنسان في المجتمع المسلم إنسان بغض النظر عن عقيدته أو جنسه أو لونه أو العاطفة نحوه ، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾[2]، ويقول (عز وجل): ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لله وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾[3].

إن من أعظم الذنوب والآثام والبهتان عند الله سبحانه وتعالى كراهية الإنسان وظلمه ؛ لما في ذلك من ضياع للحق وانتقاص من كرامة الإنسان وحقه في الحياة الآمنة، يقول تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ

---

(١) الإسراء : ٢٦.

(٢) المائدة : ٨.

(٣) النساء : ١٣٥.

ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ۝١٠٥ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ۝١٠٧ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ۝١٠٨ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ۝١٠٩ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١١٠ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١١ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾[1]، فهذه الآيات الكريمة تدل على وجوب إحقاق الحق وسلامة التعامل مع الإنسان أيًّا كانت عقيدته.

---

(١) النساء: ١٠٥ – ١١٢.

والآيات كثيرة في تحريم الظلم ، يقول (عز وجل): ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[2] .

حرية المعتقد في المجتمع الإسلامي:

مما لاشك فيه أن حرية المعتقد في المجتمع الإسلامي تنبع من عقيدة المسلم، يقول تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ﴾[3]، ويقول (عز وجل): ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[4] ، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[5]، ويقول تعالى:

---

(١) طه : ١١١.

(٢) غافر : ٥٢.

(٣) البقرة : ٢٥٦.

(٤) الكهف:٢٩.

(٥) البقرة : ٢٧٢

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[1] .

وفي سنة رسول الله ﷺ تنبيه للمسلمين ألَّا ينتقصوا حقوق أهل الذمة الذين يعيشون في ديارهم، بل أمرهم رسول الله ﷺ أن يبروهم ويقسطوا إليهم، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الجُنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا"[2]، وهذا من خلق الإسلام الذي يقوم على المحبة والتسامح والعفو بين الناس وليس على المقت والكراهية والأذى والضرر.

الإسلام دين المحبة والمساواة بين البشر:

لقد قضت سنة الله سبحانه وتعالى في الخلق باختلاف ألوان البشر وألسنتهم وأجناسهم وأممهم ، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى

---

(١) يونس :٩٩.

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب الديات ، بَابُ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا ، حديث رقم: ٢٦٨٦ .

ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[1]، ومع ذلك نهى الله (عز وجل) عن العنصرية والتمييز على أساس اللون أو الجنس، ولم يسمح رسول الله ﷺ لأصحابه بهذا التمييز، وذلك عندما وصف أبو ذر الغفاري ﷺ أحد الناس بقوله: يا بن السوداء ، فقال له : رسول الله ﷺ : "إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ"[2]، وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ: " أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى"[3].

كما رفض الإسلام العبودية بكل أشكالها وألوانها تحريرًا للناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، ورفض كل أشكال التمييز والفوارق المصطنعة بين الأمم والشعوب والأقوام والأفراد والرجال والنساء، وثبت حق الإنسان في الحياة الحرة الكريمة دون تمييز أو عنصرية أو سخرية أو استهزاء، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

---

(١) الروم :٢٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، حديث رقم: ٣٠.

(٣) مسند أحمد، حديث رقم: ٢٣٤٨٩.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

فهذه الأوامر الإلهية جاءت لأن الله سبحانه وتعالى أكرم الإنسان وأجلَّه وفضَّله على كثير ممن خلق تفضيلًا، فلا يصح عند الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا الإنسان في عمومه موضع سخرية أو استهزاء، بل جعل له حقوقًا يجب أن تصان من جميع خلقه، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2].

---

(١) الحجرات: ١١، ١٢.

(٢) الإسراء: ٧٠.

من مقاصد الإسلام حفظ حقوق الإنسان:

لقد رفض الإسلام الكراهية والعنصرية وجسد مكانهما المحبة والتعاون، ولقد استخلص المشرعون والفقهاء من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ حفظ المقاصد الشرعية وهي: حفظ الدين، والنفس، والوطن، والنسل، والمال، والعقل، وكذلك لما حققه الإسلام من حفظ كرامة الإنسان وحقوقه، فواجب على كل مسلم أن يحفظ هذه الكليات في نفسه وفي غيره، ولا يجوز الاعتداء عليها بأي حال من الأحوال، وقد أرسى الإسلام قواعد حقوق الإنسان منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا، ومما تتميز به ما يلي:

- أن تلك الحقوق من تقرير الوحي السماوي، فلا يعتريها التغيير والتبديل.
- أن تلك الحقوق لا يقررها الإسلام من وجهة عامة نظرية، بل يعضدها بها في تفصيلات الشريعة مما يتعلق بالحقوق الخاصة من مالية وشخصية .
- أن الحقوق الطبيعية للإنسان في الإسلام لها صفة الإلزام بالنسبة

للمسلمين أيًّا كانوا لأنها من مقررات الدين، ولأنها تتضمن جزاءات دينية ودنيوية على من يخالفها.

وختامًا .. فإن خطبة الوداع تعد وثيقة لحقوق الإنسان ترفض ثقافة الكراهية والعنصرية، ومما قاله رسول الله ﷺ في هذه الخطبة التي أقر فيها حقوق الإنسان في الإسلام: " إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ... فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ الله، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ الله ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ.." [1].

أيها الناس إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام إلى أن تلقوا

---

(١) متفق عليه: صحيح البخاري، كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع، حديث رقم: ٦٧، وصحيح مسلم، كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء، حديث رقم: ١٦٧٩ .واللفظ لمسلم .

ربكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا ...أيها الناس استوصوا بالنساء خيرًا ... أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه ... فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم ... ".

❋ ❋ ❋

فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊



الناشر / المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رقم الإيداع :

الترقيم الدولي: